خطوة

الاستثمار في الطفولة المبكرة .. استثمار في المستقبل

مجلة فصلية - متخصصة في الطفولة المبكرة - يصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية- العدد ٤١- شتاء ٢٠٢١

ملف العدد
تنشئة الطفل في زمن كورونا

التفكير الإبداعي وتنمية القدرة على التخيل والابتكار لدى الطفل

كيف نوفر بيئة داعمة للطفل الموهوب

المواطنة وبناء شخصية الطفل

تاريخ رسوم كتب ومجلات الأطفال

داخل العدد قصة
ارسم قصة

خطوة

الإشراف العام

أ.د.حسن البيلاوي

أمين عام المجلس

هيئة التحرير

رئيس التحرير

إيمان بهي الدين

مدير التحرير

مروة هاشم

المشرف الفني

محمد أمين

الهيئة العلمية

أ.د. شبل بدران

رئيس الهيئة العلمية

أعضاء الهيئة العلمية (ترتيب أبجدي)

أ.أمل فرح

أ. إيمان بهي الدين

أ. سوسن رضوان

د. شهيرة خليل

أ.د. كمال نجيب

م. محمد رضا فوزي

د. محمد عطا

الهيئة الاستشارية (ترتيب أبجدي)

أ.د. أحمد أوزي

أ.د. إلهام ناصر

أ. جبرين الجبرين

د. خولة مطر

أ.د. سكينة بن عامر

أ. عبد اللطيف الضويحي

أ. غانم بيبي

أ.د. فاديا حطيط

أ. فاطمة المعدول

أ.د. ليلى كرم الدين

خطوة مجلة فصلية متخصصة في الطفولة المبكرة

تصدر عن المجلس العربي للطفولة والتنمية

برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير

عبد العزيز بن طلال بن عبد العزيز

في هذا العدد

مقالات:

– كيف نوفر بيئة داعمة للطفل الموهوب؟ 4

– التفكير الإبداعي وتنمية القدرة على التخيُّل والابتكار لدى الأطفال 8

– المواطنة وبناء شخصية الطفل 12

– تاريخ رسوم كتب ومجلات الأطفال 16

ملف العدد: تنشئة الطفل في زمن كورونا

– آثار جائحة فيروس كورونا على الأطفال 22

– الضغوط النفسية لوباء كورونا على الأطفال 26

– التثقيف الصحي للطفل وجائحة كورونا 30

– الحظر: مهارات اتصال جديدة بين الآباء والأبناء 34

– التعليم المدمج في زمن كورونا، هل نملك رفاهية الاختيار؟ 36

تجارب

– الاستغلال المُباح (تجربة معلمة) 39

– في ليبيا: بلدية سوق الجمعة – صديقة للطفل 40

اصنع .. العب .. تعلَّم

– لعبة من الألعاب الهندسية 42

عرض كتب

- تفادي ضياع جيل الكورونا، خطة النقاط الست للاستجابة والتعافي ووضع رؤية جديدة لعالم ما بعد الجائحة لكل طفل 44

عرض مؤتمرات وندوات

- المؤتمر السنوي الخامس لمركز توثيق وبحوث أدب الطفل (أدب الطفل ورؤية مصر ٢٠٣٠)..... 48

المجلس العربي للطفولة والتنمية أُسِّسَ بمبادرة كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز ، رحمه الله، عام ١٩٨٧.

جميع حقوق الملكية محفوظة للمجلس العربي للطفولة والتنمية

افتتاحية العدد

يصدر العدد (٤١) من مجلة خطوة والعالمُ يمرُّ بالموجة الثانية من جائحة ڤيروس كورونا، لينقطع أطفالنا مجددًا عن المدارس ولتبدأ رحلة جديدة من التداعيات على المستويات كافةً، ورغم أن الموجة الثانية لم يكن فيها الحظر بنفس قوة الموجة الأولى، فإن كل الشواهد تؤكد بأن التأثيرات أكثر عمقًا وامتدادًا.. الأمر الذي دفعنا في المجلة إلى استكمال ملف «تنشئة الطفل في زمن كورونا»؛ لنطرح من خلاله أبعادًا ومناحيَ متنوعةً حول تلك الأزمة وأبعادها.

ولقد حرص كُتَّاب هذا الملف من الخبراء والمختصين على دراسة وبحث تأثيرات الجائحة على الأطفال، وقدموا مقترحاتٍ وتوصياتٍ وأفكارًا كلها تصب في فكرة تحويل تلك المحنة إلى فرص للتغيير... من خلال اقتراح أنماطٍ جديدةٍ في التعليم والممارسة الحياتية، واكتساب مهارات وقيَم جديدة تناسب هذه المرحلة وما بعدها.

وعلى جانبٍ آخر تستمر خطوة – إلى جانب ما يتضمَّنه الملف – في تقديم المواد العلمية والعملية عبر المقال والنشاط والتجربة والقصة والشعر والعرض؛ لتساعد المُستهدفين من القائمين والمعنيِّين بتنشئة الطفل، على عمل كل ما من شأنه تنمية وحماية أطفالنا في هذه المرحلة العمرية المهمة.

وتواصلًا لما تعهدنا به من اختيار ملفات تحمل قضايا وموضوعات تحتاج إلى التعمُّق والدراسة في تناولها، ارتأينا أن يكون موضوع ملف العدد القادم (٤٢) حول «الطفل والرَّقْمَنَة: فرص وتحديات»، فالرقمنة هي أحد أبرز ملامح الثورة الصناعية الرابعة ومجتمع المعرفة، التي تحتاج أن نهيِّئ ونُمكِّن أطفالنا منها لمستقبلٍ قادمٍ يخصُّهم.

وفقنا الله دومًا لما فيه خير وصالح الطفل.

أ.د. حسن البيلاوي

المشرف العام على مجلة خطوة

«خطوة» مجلة علمية تعنى بمرحلة الطفولة المبكرة (من سن الميلاد - ٨ سنوات)، تنشر الفكر التربوي المستنير من وإلى الممارسين والمعنيين بمرحلة الطفولة المبكرة، وتنمي اتجاهات إيجابية لتنشئة الطفل في الوطن العربي، وفق مقاربة حقوقية تنموية في ضوء متطلبات مجتمع المعرفة.

تعبِّر الموضوعات المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة.

كيف نوفر بيئة داعمة للطفل الموهوب؟

د. خالد صلاح حنفي

أستاذ مساعد بكلية التربية – جامعة الإسكندرية – مصر

يمكن القول أن جميع الأطفال مبدعون ولكن الفارق بين من يخطط تربويًا لإنشاء طفل مبدع وبين من لا يهمه الأمر. فنحن في حاجةٍ إلى تخطيطٍ تربويّ للتعامل مع هذه المرحلة العمرية، حيث تبين الدراسات أن ٩٠٪ من شخصية الطفل تتشكل في السنوات السبع الأولى وهي أهم سنوات عمر الإنسان على الإطلاق، حيث يتشكل عنده مفهوم الذات ومفاهيم التقبُّل والإدراك والقيَم. فتعليم السنوات الأولى يحتاج إلى رغبة وفعل ومهارة والتزام واستمرارية وتوقع إيجابي. وفي الوقت نفسه، فإن الطفل لديه المُقوِّمات الوراثية في السنوات السبع الأولى، ولديه حب الفضول والاكتشاف، وكثرة الحركة التي تعبر عن هذه الرغبة، فهو يريد أن يتعلم أشياء جديدة كثيرة، ويريد أن يعتمد على نفسه.

وتمثل البيئة الأسرية عامل الحسم في مستقبل أي طفل موهوب. وأكبر مثال على ذلك أُمُّ المخترع العظيم «توماس أديسون» التي آمنت بموهبة ابنها، وكان ردها على المدير الذي طرد ابنها من المدرسة ونعته بالفاشل بقولها: «كل المشكلة إن ابني أذكى منك، وسترى من سيكون توماس في المستقبل». ولم تقتصر الأم على هذا التحدي، بل غرست في ابنها بذور الموهبة ورعتها بالاهتمام به من حيث بناء شخصيته، وتطوير قدراته بالقراءة والاطلاع، ومساعدته على التفكير والنجاح، حتى بلغت اختراعاته قرابة (١٠٩٣) اختراعًا؛ ومن أهمها المصباح الكهربائي الذي أضاء العالم.

إن الموهبة بحاجة إلى رعاية وبخاصة أن (٩٠٪) من الأطفال يولدون موهوبين ومبدعين، و(١٠٪) منهم تستمر موهبتهم بعد دخول المدرسة. لذلك كان لزامًا علينا أن نعزز في ذهنية الطفل حقيقة طرح الأسئلة بلا حدود، ووضع الفرضيات، ومناقشة الحلول، وخلق الفرص والبدائل. وعلى الوالدين والأسرة اكتشاف مواهب أطفالهم منذ صغرهم، كي

يتمكنوا من رعايتها وتنميتها وتوفير البيئة الحاضنة لها، سواء في المنزل أم المدرسة من خلال المعلمات والمعلمين، وإيجاد المناهج المحفزة للابتكار، والأنشطة المعززة للتعلُّم الذاتي، وتطوير الذات، وتنمية التفكير، وصياغة الموهوب من خلال مجتمع كامل يؤمن بالتماسك والقبول والحرية المنضبطة وتعزيز الثقة، وتطوير الذات، والتفكير، وفهم المتطلبات النفسية للأطفال، وإتاحة بيئة التعلم الأمثل.

سمات الطفل الموهوب:

أخطر ما يواجه صناعة الطفل الموهوب، هو تجاهل الأسرة والمجتمع للخصائص الجسمية والعقلية والوجدانية للطفل خلال مراحله العمرية المختلفة، علمًا بأن السمات الذهنية تختلف من طفلٍ لآخر، ولكن الطفل الموهوب يتميز بصفات؛ منها: التعلُّم السريع، والذكاء الحاد، والذاكرة المتوقدة، والقدرة على حل المسائل والألغاز، وحفظ الأرقام، والقدرة على الحديث واختيار العبارات والجمل المفيدة في سن مبكرة، وتفاعله مع الأحداث حوله بطريقةٍ تختلف عن الآخرين من خلال عواطف جياشة، وشعور شديد الحساسية، والتركيز على مُقوِّمات القيم والأخلاق ونبذ العدوانية؛ لأنه حالم يعشق الصعب والمستحيل. فالموهبة قد تظهر ملامحها في وقتٍ مبكرٍ من عمر الطفل في سنواته الأولى، وذلك لأنه يمتلك قدرًا كبيرًا من السمات التي تشير إلى احتمال وجود موهبة عقلية على خلاف بقية الأطفال في سِنِّه، كما أنها قد تتأخر قليلًا حتى السابعة، أو ربما يظهر سلوك الموهبة في وقتٍ مبكرٍ ثم يطفأ لاحقًا.

ويرصد الخبراء حول العالم؛ ومن بينهم مجلس الأطفال الاستثنائيين الأمريكي (CEC)، بعض المؤشرات على توافر الموهبة في الأبناء عبر أربعة محاور رئيسة:

التعلُّم:

- سرعة الفهم والاستيعاب.
- حصيلة عالية من المفردات.
- طرح استفسارات أعلى من مستواه العمري.
- قدرات حسابية عالية.

٩٠٪ من شخصية الطفل تتشكل في السنوات السبع الأولى

القيادة:

- القدرة على تحمل المسئولية والقيادة.
- القدرة على اتخاذ القرار.
- القدرة على الإقناع والتأثير.
- حب التطوُّع وامتلاك حس المبادرة.

العمل:

- القدرة على التعامل مع الضغوط.
- إنجاز الأعمال في الوقت المطلوب.
- الدقة والإتقان.
- امتلاك الدافع الداخلي.

الإبداع:

- توليد الأفكار وطرح الحلول غير المألوفة.
- حب الفن والجمال.
- حب الاستطلاع والرغبة في التجريب.
- القدرة على الربط بين الأفكار.

وهناك مجموعة من المؤشرات التي تساعد في التعرُّف إلى الموهوبين واكتشافهم؛ وهي: المستوى المرتفع في التحصيل الأكاديمي والمعرفي، والتميز العالي في القدرة على القيادة والمهارات الميكانيكية؛ كذلك استخدام مقاييس القدرات العقلية المختلفة كـ (مقياس ستانفورد – بينيه، أو مقياس وكسلر...). وهناك مقاييس متنوعة للكشف عن الموهبة، يجب توخي الحذر عند تطبيقها بتهيئة الطفل نفسيًا قبل التطبيق وبعده، والحرص على مناسبتها لثقافته وعمره؛ لأن ما يناسب بيئة وثقافة معينة قد لا يناسب غيرها. وأهم مقياس يمكن التنبُّؤ من خلاله بإمكانية وجود طفل موهوب هو الملاحظة من شخص لديه معرفة كافية؛ لذا يجب على الآباء امتلاك قدرٍ كافٍ من المعرفة في هذا المجال.

إن عملية التعرف على المواهب وتنميتها هي عملية طويلة المدى يتعرف فيها الآباء والمعلمون والطلاب أنفسهم على مواهبهم؛ لذا لا بد أن يوفر الآباء الدعم العاطفي للأطفال من أجل تنمية مواهبهم.

وهناك بعض الميزات المشتركة للأسر التي يظهر بها طفل موهوب، فكلما صغُر حجم الأسرة زاد التركيز على الابن وموهبته، كما إن الطفل الأكبر أو الأصغر أو الأقرب للوالدين ودرجة احتكاكه بهما عالية، بما يمكن أن يسهم في إظهار قدراته الكامنة للوالدين. المستوى التعليمي والمهني للأبوين له دور في موهبة الابن. فالأبوان المتعلمان أقدَر على إطلاق طاقات ابنهم الإبداعية، كما أن العلاقات الأسرية الجيدة والمترابطة تنعكس إيجابيًا على إنتاجية الطفل؛ ومن ذلك أساليب التنشئة الأسرية، وتوافر الحرية، وتضاؤل العقاب، والتشجيع المستمر، وكلها عوامل تشجع على الإنجاز العالي للطفل.

ويجب قبل أن ينشغل الآباء بالبحث عن الموهبة في أبنائهم، أن يعتنوا بنمو الطفل نموًا سليمًا متكاملًا باحترام شخصيته والحفاظ على كرامته، وتوفير بيئة آمنة نفسيًا وفكريًا. بحيث تتوافر التربة الخصبة لنمو الموهبة وظهورها، وأن يمنح الآباء أبناءَهم الفرصة ليكونوا أنفسهم، وليس الضغط عليهم للتفوق على آبائهم حتى يتفاخروا بهم في المحافل والمناسبات المختلفة.

دور الآباء والأمهات في رعاية الطفل الموهوب:

إن رعاية الطفل الموهوب ليست منافسات أو برامج منفردة يلتحق بها الأطفال ليتحولوا إلى عباقرة، كما أنها ليست مهمة المدرسة وحدها ولا وظيفة المنزل وحده. بل تشترك في ذلك جميع مؤسسات المجتمع بروح تكاملية لتخريج القادة والمؤثرين في المجتمع. وقبل أن نعمَد لتنمية قدرات الأبناء المعرفية والعقلية علينا أن نوفر الحب، والحنان للطفل. وألا نقلل من أهمية الكشف عن الموهبة في وقتٍ مبكرٍ لدى الطفل؛ لأن ذلك جزء مهم من التربية.

وعلى الآباء والأمهات أن يحوِّلوا المنزل أو بيئة الأسرة إلى محْضَن ورافد من روافد اكتشاف الموهبة عند الطفل وتنميتها، باتباع الخطوات الآتية:

١- تشجيع الطفل على التعبير عمَّا بداخله من أفكار: إن تشجيع الطفل على التعبير عما يدور برأسه من أفكار وأمور قام باكتشافها بنفسه، له أثر إيجابي على تنمية الابتكار والإبداع؛ لذا يجب على الوالدين ألا يقللا من قيمة أسئلة الطفل وأفكاره وآرائه، فهي وإن كانت بسيطة بالنسبة إلينا إلا أنها عند الطفل غاية في الأهمية، ولا بد للوالدين أن يحيطا الطفل بالتشجيع في هذه المواقف؛ لأنها سوف تدفعه إلى أن يطور في اكتشافاته ويكتسب الشجاعة والجرأة والمُبادَأة؛ وكلها من سمات التفكير الابتكاري.

٢- إثارة فضول الطفل للتعلم مبكرًا: على الوالدين إثارة فضول الطفل في وقتٍ مبكرٍ للتعلُّم، وهذا يعني ألا يقتصر دور الوالدين على تحفيظ الطفل النصوص أو الأرقام أو جدول الضرب والعمليات الحسابية، بل يعني أن نعلم الطفل كيف يستنتج ويستنبط ويصغي للآخرين ويُبدي رأيه، وأن يكون له شخصيته ورأيه، وهذه مسألة غاية في الأهمية فعدم تنشيط رغبة الطفل في التعلم في الصِّغَر قد يؤدي إلى فقدانه قابليته للتعلم وإلى تراجع ذكائه وموهبته.

٣- تحفيز الطفل على الاطلاع والقراءة في سن مبكرة: وهذا واحد من أهم السبل لتنمية مواهب الطفل وصقلها، فالقراءة هي التي تساعد الطفل على التفكير والتأمل، وتكوين شخصيته، وتؤكد الدراسات أنه كلما زاد تعرض الطفل للقراءة في وقت مبكر ازداد ذكاؤه بشكل عام، وبدأ في الإبداع والتفكير الابتكاري مبكرًا.

٤- تقديم الألعاب المفيدة للطفل: يجب أن يمارس الطفل الألعاب المفيدة والتي تساعد على تنمية مواهبه وقدراته وتساعد على تأسيس شخصيته، ويجب ألا ينظر الآباء والأمهات إلى الألعاب على أنها مجرد وسيلة للترفيه، أو شغل وقت الفراغ، بل إن لها دورًا أكبر من ذلك بكثير في بناء شخصية الطفل، من خلال ما تتيحه من مواقف تدفع الطفل للتفكير ومحاولة البحث عن حل، وتنمية حب الاستكشاف، مثل ألعاب المُكعَّبات والتلوين والرسم، والألعاب التي تساعده على تكوين

للطفل الموهوب سمات ذهنية تظهر ملامحها في وقت مبكر

أشكال ومُجسَّمات (البناء والفك والتركيب)، وهذه من أفضل أنواع الألعاب في تنمية الإبداع والابتكار لديه. ومن المهم تنويع وسائل وأدوات اللعب من حيث الشكل والحجم واللون والفروق، ومشاركة الطفل في لعبه، ومن المهم ألا نترك أبناءَنا أمام الألعاب الإلكترونية لساعاتٍ طويلةٍ وممارسة الألعاب نفسها ومشاهدة الـڤيديوهات نفسها؛ لأنها تنمي

بعض القدرات البسيطة لديه وقد تضر الطفل أكثر مما تفيده.

٥- إفساح المجال للطفل لطرح أسئلته: يجب ألا يكون نمط التربية لدى الآباء والأمهات مقصورًا على توجيه الأوامر والتعليمات للطفل، ومنعه من إبداء رأيه أو طرح تساؤلاته. إن التربية التسلُّطية تكوِّن طفلًا سلبيًا أو معتمدًا على الآخرين أو جبانًا وهذا ما لا نريده، بل لا بد دومًا من إتاحة الفرصة للطفل لطرح تساؤلاته ولا بد من احترام تلك التساؤلات وتشجيع الطفل على طرحها، دون التقليل من شأنه أو الاستهانة بها، أو السخرية من الطفل أو إبداء الملل أو الضَّجَر من أسئلته، بل يجب علينا باعتبارنا آباء أن نستغل تلك الأسئلة لمناقشة الطفل، وتعويده على التفكير والحوار وربط الأشياء ببعضها.

٦- دعوة الطفل إلى التأمل في الطبيعة من حوله: فعلى كل من يقوم على تربية الأطفال أن يدفعهم إلى التفكير فيما يحيط بهم من كائنات ونباتات وحيوانات، والفروق بينها وأوجه الشبه، وتنمية إحساس الطفل وارتباطه بالطبيعة من حوله وإبداع الخالق فيها، وكيفية المحافظة على تلك الطبيعة والتعامل معها على النحو السليم، وغرس قيَم حب الطبيعة والكائنات، وتشجيع الطفل على الحفاظ على تلك الطبيعة في المواقف المختلفة على النحو السليم.

رعاية الطفل الموهوب مهمة جميع مؤسسات المجتمع بروح تكاملية

إن الطفل الموهوب ثروة لا يستهان بها، وعلينا كآباء وأمهات أن نحاول تنمية مواهب الطفل، فقد يكون الطفل موهوبًا في الرسم أو الشعر أو المهارات اليدوية أو الابتكارات العلمية، أو التواصل الاجتماعي أو غيرها من مجالات الإبداع، وعلى الآباء والأمهات والمعلمات ألا يكون أفقهم ضيقًا ومحصورًا في الإبداع الأكاديمي والدراسي ومَلَكة الحفظ؛ لأن هذه المواهب هي المفتاح لنجاح الطفل في المستقبل وأساس لتقدم المجتمع، وعلينا الإعداد لتنمية مواهب الطفل بالتخطيط والإعداد الجيد.

التفكير الإبداعي وتنمية القدرة على التخيُّل والابتكار لدى الأطفال

بدر الدحاني
باحث – جامعة ابن طفيل – المغرب

إن كل تحليل لعلاقة التفكير الإبداعي بترقية القدرة على التخيُّل والابتكار، رهين بمجموعة من الشروط والآليات النظرية والإجرائية التي تتطلب مجهوداتٍ علميةً وبيداغوجيةً لتفعيلها، في المدرسة من جهة، وفي سلوك وتربية الطفل من جهةٍ أخرى. ولعل أهم الأسباب التي دفعتنا لتناول هذا الموضوع الشائك الذي يتسم بنوع من الراهنية والاستعجالية في الآن نفسه، هو ما تشهده المؤسسات التعليمية والتربوية من نقصٍ كبيرٍ في ترسيخ هاته القدرة على الخلق والابتكار في ممارسة الطفل التفكيرية والإنتاجية، دون إغفال دور الأسرة في تمكين الطفل من هاته المهارة.

لذلك؛ ارتأينا معالجة هذا الموضوع بغاية تحسيس المؤسسات التعليمية والأسرة بأهمية تمكين الطفل من القدرة على التفكير الإبداعي الخلَّاق، الذي يتيح له إمكانية الإنتاج الإبداعي المختلف والبعيد عن كل ما هو نمطي ومُبتذَل. وقصدُنا من وراء الإنتاج الإبداعي لدى الطفل، ليس هو الإبداع في المجال الفني وحده، بل غايتنا تكمن في تمكين الطفل من ممارسة التفكير الإبداعي في كل مجالات الحياة، سواء منها التعليمية أم السلوكية أم الممارسة الحياتية بشكلٍ عام؛ وبخاصة في تحديد الأولويات والاختيارات الصائبة التي تواجه الطفل في حياته وفي تفاعلاته الاجتماعية مع الآخرين. علمًا أن هذه المهارة تُلازم الطفل في جميع مراحله العمرية، حينما نعمل بجدية على ترسيخها في شخصيته أثناء العملية التعليمية التعلُّمية. فماذا نقصد بالتفكير الإبداعي؟ وما أهمية ممارسة النشاط الفني؟ وما الآليات التي تُمكِّن الطفل من اكتساب مهارة التفكير الإبداعي؟ وإلى أي حَدٍّ يمكن للمؤسسة التعليمية والتربوية ترسيخها في شخصية الطفل وممارسته السلوكية والحياتية؟

في مفهوم التفكير الإبداعي

ورد في كتاب «الإبداع العلمي والفكر التكويني» لكاتبه «الدكتور محمد جلال غندور» (٢٠١١)، أن التفكير الإبداعي هو: «نشاط عقلي يتصف بعدم النمطية، وبالخروج عن مسار التفكير المعتاد المألوف، والتقليدي، ويؤدي إلى إنتاجٍ يتصف بالابتكار والجِدَّة والإبداع، يقبله المجتمع، ويتبنَّاه، ويعمل به. ويتكون من مهارات: الطلاقة، والمرونة، والأصالة، والإفاضة، أو التوسُّع». مع العلم أن هناك مفاهيم عديدة ذات صلة بالفكر عمومًا؛ كالفكر النقدي، والفكر العلمي، والفكر التأملي، والفكر المنطقي، والفكر التحليلي وغيرها من الاصطلاحات المرتبطة بالممارسة الفكرية.

من الأهمية تمكين الطفل من ممارسة التفكير الإبداعي في كل مجالات الحياة

لكن ما يهمُّنا في هذا الموضوع، هو مفهوم التفكير الإبداعي وماهيَّته وآليَّات تمكينه للطفل في إطار العملية التعليمية والتربوية. وفي الكتاب نفسه الذي ذكرناه آنفًا، وردت مجموعة مهمة من التعاريف الاصطلاحية لمفهوم التفكير الإبداعي؛ أهمها تعريف «فتحي جروان» الذي يرى بأن التفكير الإبداعي هو: «نشاط عقلي مُركَّب، وهادف، توجهه رغبة قوية في البحث عن حلول، أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة سابقًا». وبهذا المعنى، فالتفكير الإبداعي هو ما يمكنه أن يقودنا إلى نوعٍ من الخلق الابتكاري المنفرد بخصوصيات إبداعية غير مبتذلة. ولا شك أن هذا الفعل سيعمل على إيجاد أفكار إيجابية وفعَّالة حين تعترض الطفل بعض التحديات والمشاكل، سواء في مراحله العمرية الأولى أم أثناء تقدمه في السن.

ومما تقدم، فالتفكير الإبداعي بشكل عام هو عملية مُركَّبة تستدعي مجموعة من المهارات المعرفية والإبداعية التي يستند إليها الفرد أثناء ممارسته التفكيرية. وللتفكير الإبداعي علاقة وطيدة بالإبداع، هذا الأخير الذي يعد ممارسة تخييلية تقتضي آلياتٍ متعددةً لتحقيق إنتاجية تتسم بالجدة والأصالة والخصوصية البعيدة عن النمطية. لكن اكتساب مهارة التفكير الإبداعي سيغدو خلالها الطفل متمكنًا من مهارات الخلق الابتكاري في شتى المجالات؛ ولذلك نعتبر التفكير الإبداعي بمثابة عملية مركبة واعية وشاملة تهدف إلى الإنتاجية المتعددة، وتشتغل فيها المخيلة والمعرفة والفكر والمهارات الأخرى جميعًا لغاية بناء فكر مبدع وخلَّاق.

أهمية النشاط الفني والإبداعي

سبق وأشرنا آنفًا إلى العلاقة التأسيسية بين التفكير الإبداعي والإبداع، وقلنا إن هناك علاقة وطيدة بين التفكير الإبداعي والإبداع نفسه. ويُطرح في هذا الصدد سؤالان جوهريان مهمان: كيف ننمي القدرة على التخيُّل والابتكار لدى الأطفال عن طريق مهارة التفكير الإبداعي؟ وما دور الفن في تحقيق كل هذه الأهداف والغايات؟ أعتقد أن الإجابة عن هذين السؤالين ستكون في المحطة المقبلة، التي سنُبرز خلالها السبل والطرائق الكفيلة بترسيخ مهارة التفكير الإبداعي الذي يشمل الخيال والمعرفة والمهارات المتعددة، بوصفه عملية عقلية مركبة تضم كل ما سبق وذكرناه، وأشياء أخرى. ولعلاقة الفن والإبداع بالتفكير الإبداعي، سنعمل في هذا الشِّق على استحضار بعض الأفكار التي تطرقت لأهمية النشاط الإبداعي، وسنركز في هذا الإطار على فكرتين مهمتين وردتا في مقالتين منشورتين في مجلة «عالم الفكر»، المجلد ١٥، العدد الرابع، (١٩٨٥).

تطرَّق المقال الأول الموسوم بـ «ثلاثة جوانب من التطور في دراسة الإبداع» لكاتبه: «عبد الستار إبراهيم»، إلى استحضار بعض المجهودات لعلماء النفس التجريبي التي اتجهت إلى مسألتين مهمتين؛ وهما:

«١- المساعدة من خلال التجربة على الحسم في فاعلية متغيرات معينة دون غيرها في إثارة السلوك المطلوب (وهو الإبداع).

٢- تتجه ومن خلال التجربة أيضًا إلى معالجة تلك المتغيرات المستنتجة في مواقف علمية، أو معملية لملاحظة فاعليتهما في زيادة الأفكار الإبداعية وتنشيطها، وذلك لتحديد المتغيرات ذات الوزن الأكبر».

كما يضيف صاحب المقال أن هذه المجهودات ستُسهم في «زيادة قدراتنا وطاقاتنا على الخلق والابتكار، إما من خلال التدريب المباشر لبعض المتغيرات النوعية في الإبداع، أو من خلال التربية وبعض الخبرات الخاصة التي تساعد على احتضان الشخصية الإبداعية».

وفي المقال الثاني المنشور بنفس المجلة بعنوان: «ديناميات العبقرية» لكاتبه «محمد أحمد سلامة»، وردت فكرة مهمة مفادُها: «يصنع الفن الرابطة بين الحاجات الشخصية والحاجات الاجتماعية للعالم: ويصنع بالتالي نظامًا ثابتًا للدوافع المعنوية نحو الابتكارية».

ومن هذه المنطلقات المعرفية تتضح فاعلية الممارسة الإبداعية في تكوين الفكر الابتكاري والإبداعي لدى الطفل، كما تتضح أهمية النشاط الفني في العملية التعليمية والتربوية؛ وبخاصة ما يرتبط بتمكين الطفل من مهارة التفكير الإبداعي، التي لن تلقَى نجاحها سوى عن طريق تنشئة الطفل وفق مجموعة من البرامج والأنشطة ذات الصلة بالفن والإبداع كما أشارت له العديد من الدراسات والأبحاث في علم النفس، أو الدراسات المتخصصة في سيكولوجيا الإبداع. إن مهارة التفكير الإبداعي – وهذا رأيي – تَنمو وتُفَعَّل في إطار الممارسة الإبداعية والفنية في المدرسة بخاصة؛ وأيضًا من خلال توجيهات الأسرة بهذه الأهمية المتمثلة في ترسيخ مهارة التفكير الإبداعي عن طريق ممارسة النشاط الفني.

التفكير الإبداعي عملية مركبة تستدعي مجموعة من المهارات المعرفية والإبداعية

تمكين الطفل من مهارة التفكير الإبداعي: المدرسة أنموذجًا

بعد أن تطرقنا لأهمية النشاط الفني والإبداعي، نعود للسؤالين السابقين: كيف ننمي القدرة على التخيُّل والابتكار لدى الأطفال عن طريق مهارة التفكير الإبداعي؟ وما دور الفن في تحقيق كل هذه الأهداف والغايات؟ تجدر الإشارة أولًا بأن مهارة التفكير الإبداعي هي نتيجة مكتسبة ومُحقَّقة وفق مجموعة من العمليات والأنشطة المرتبطة بممارسة الفن والإبداع، وأن دور الفن في هذه العملية ليس إلا مادة بيداغوجيَّة تشتغل وفق معايير وأهداف محددة لتحقيق الغايات المرجوَّة.

تلعب المدرسة دورًا مهمًا في تكوين وتربية الطفل وتمكينه معرفيًا وسلوكيًا، كما تسعى من خلال برامجها التربوية والديداكتيكيَّة إلى تنشئة الطفل اجتماعيًا وثقافيًا في علاقته بالمجتمع ومنظوماته المؤسساتية؛ وكذا ترسيخ

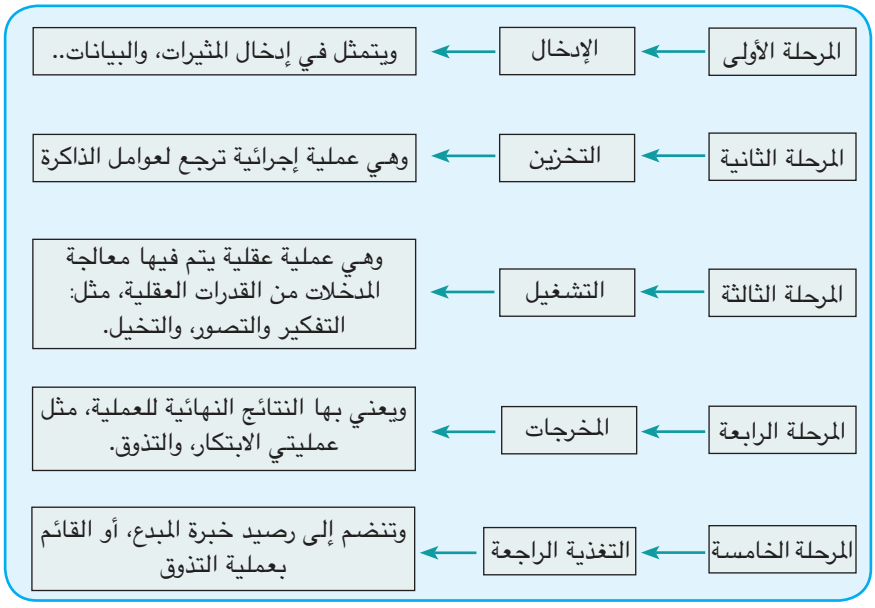

المهارات الحياتية المختلفة، منها مهارة التفكير الإبداعي التي تعد محورًا لموضوعنا الإشكالي لهاتِه الورقة. لكن للأسف، ما يُلَاحظ على منظومتنا التربوية والتعليمية أنها تشتغل وفق مقاربة تطغى عليها المادة التعليمية أكثر من أي شيء آخر؛ وفي بعض الأحيان، لا تعير الاهتمام الكافي للجانب الإبداعي الذي يتشكل وينمو – وفق ما أملته الأبحاث والدراسات العلمية – في إطار العملية التعليمية التعلُّمية.

يلعب الفن في المدرسة دورًا مهمًا يمتد إلى حدود لا يمكننا تصوُّرها، والجواب عن السؤالين السابقين يقوم على هذا الأساس، أي على الدور الفعَّال الذي يقدمه الفن للطفل وللتربية بشكل عام. إن اعتماد الأنشطة والبرامج الفنية في العملية التعليمية والتربوية، سيُمكِّن الطفل من مهارة التفكير الإبداعي. لماذا وكيف؟ لا يمكن للتفكير الإبداعي أن يترسخ في سلوك الطفل دون قدرته على التخيُّل والتمثُّل المعرفي والابتكار. وهذه المهارات كلها تُكتَسَب في إطار ممارسة الفن والإبداع، إذ هناك برامج وتمارين متعددة تهدف إلى تنمية الخيال والتأمل وتقوية الذاكرة، وغيرها من القدرات والمهارات، وأغلب هذه التمارين أُعتُمدت من لدن كبار الفنانين والمبدعين لتقوية قدراتهم الفنية والإبداعية، فما بالك بالطفل الذي تُظهِرُ بنيته العقلية استعدادًا أكبر للتعلم والاكتساب مقارنةً مع المتقدمين في السن.

وفي السياق نفسه، ورد في كتاب «الإبداع العلمي والفكر التكويني» لكاتبه «الدكتور محمد جلال غندور» (٢٠١١)، مجموعة من العمليات الأساسية التي تقوم من خلالها نظرية المعلومات، نبسطها في هذا الشكل التوضيحي الأعلى:

يعد هذا الشكل بمثابة رؤية توضيحية للكيفية التي تتم فيها عملية اكتساب المعلومات المعرفية، وسياقها هنا، يأتي في إطار اهتمام نظرية المعلومات التي تعد واحدة من النظريات المعرفية والعقلية بالإبداع الذي تعتبره وسيلة اتصالية تقوم على نقل المعلومات والمعارف. فالابتكار والخَلْق الإبداعي يعتمدان أساسًا على الخيال، والفن يعمل بشكل فعَّال على تنمية هذا الخيال، من خلال برامجه وأنشطته العملية والإجرائية. إن المدرسة باعتبارها فضاءً تعليميًا وتربويًا، فمن واجبها إيلاء الأهمية القصوى للفن والممارسة الإبداعية وفق برامج مُسطَّرة ودقيقة ذات أبعاد تعليمية ناجعة، تضع ضمن تصوُّراتها البيداغوجية العمل على تمكين الطفل (المتعلم) من مهارة التفكير الإبداعي، التي تتشكل من خلال عدة عمليات تم التطرق إليها آنفًا.

يلعب الفن دوراً مهماً في إكساب مهارة التفكير الإبداعي

ختامًا.. إن موضوعًا كالتفكير الإبداعي وسبل ترسيخه لدى الطفل، يبقى من المواضيع المركبة التي تتطلب مُقاربة علمية دقيقة وموسعة، تتناول كل إشكالياته وخاصة المتصلة بحقول معرفية أخرى. وفي هذه العُجالَة المقتضبة لا يسعُنا الإحاطة بها كاملة، بل هذه الورقة كانت - فقط - بمثابة تسليط الضوء على هذا الموضوع الشائك الذي يتطلب منا مواكبة بحثية دقيقة ومُعمَّقة. ومن أجل الوصول إلى تحقيق كل الغايات المرجوَّة من هذا الموضوع، نوصي كل المشتغلين في الحقل التربوي والتعليمي بإيلاء الأهمية الكافية للفن والأنشطة الإبداعية؛ لما لها من دور كبير في ترقية الملكات الفردية وتقوية الخيال الذي يعد أساس الإبداع والابتكار؛ ومن ثم، ترسيخ المهارات المتعددة وبخاصة مهارة التفكير الإبداعي، التي تجعل من الطفل (المتعلم) طفلًا مُبتَكِرًا مُجدِّدًا في أساليب إنتاجاته سواء منها التعليمية المرتبطة بالمدرسة، أم المتصلة بعلاقته بالمجتمع ومنظوماته المختلفة.

المواطنة وبناء شخصية الطفل

د. أسماء أحمد أبو زيد علام

مدرس بكلية الإعلام، جامعة القاهرة – مصر

تعد المواطنة الأساس الدستوري للحقوق والحريات كافةً في الدولة؛ ومن ثم تصبح حقوق المواطنة أساس يع الحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية التي ينص عليها الدستور والقانون، ويكون شيوع ثقافة المواطنة هو تأكيد لثقافة الديمقراطية، وتأكيد للحقوق المتساوية لكل المواطنين.

وتضمن المواطنة حقوق الإنسان في المجتمع والوطن والدولة؛ لكونها تنقل الحق الإنساني إلى حق للمواطنة عبر تشريعه وتقنينه، وتضمن استمرار المجتمع في الإطار السياسي الذي يعبر عنه وهو الدولة.

وتؤدي المواطنة إلى بناء نظام سياسي مدني متحضر، يقوم على أساس التعدد في العِرْق والمؤسسات والثقافة والإيديولوجيا والدين.

المواطنة أداة لبناء مواطن قادر على العيش بسلام وتسامح

لذا من الأهمية تنشئة الأطفال على المواطنة، والتي تعد المفهومَ الأساسَ الذي تنهض عليه الدولة الحديثة؛ كونها الأساس الدستوري للمساواة بين أبناء الدولة الواحدة، فهي حقوق وواجبات، وهي أيضًا أداة لبناء مواطن قادر على العيش بسلام وتسامح مع غيره على أساس المساواة والتكافؤ في الفرص، والعمل قصد المساهمة في بناء وتنمية الوطن، والحفاظ على العيش المشترك فيه، فضلًا عن أنها تشكل موروثًا مشتركًا من المبادئ والقيم

والعادات والسلوكيات، التي تسهم في تشكيل شخصية المواطن وتمنحها خصائص تميزها عن غيرها، وهي بذلك تجعل من الموروث المشترك حمايةً وأمانًا للوطن والمواطن.

حيث تعد مرحلة الطفولة فترة مرنة من عمر الإنسان، فمن خلالها يمكن اكتساب طباع وعادات تبقى ملازمةً للإنسان خلال فترة حياته كلها؛ ومن هنا أطلق عليها علماء النفس اسم: (الفترة التكوينيّة) نتيجة اكتساب الطفل للعادات والقيم المختلفة خلالها.

وتستمد المواطنة أهميتها من كونها تحفظ للمواطن حقوقه المتنوعة وتوجب عليه واجبات تجاه دولته، فتقوم العلاقة على أساس الحقوق والواجبات، وتؤدي إلى رفع منسوب الثقة لدى المواطن والدولة في تجاه أحدهما للآخر، كما تضمن المساواة والعدل والإنصاف بين المواطنين.

قيم المواطنة وبناء شخصية الطفل

تعرف قيم المواطنة بأنها السلوكيات التي يكتسبها الفرد لتنمية شخصيته من جميع الجوانب: التربوية، والتعليمية، والاجتماعية، والسياسية، فتجعله إيجابيًا يدرك ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، ومساهمًا فعالًا في المشاركة المجتمعية نحو الإصلاح المجتمعي واحترام الأنظمة والقوانين، واحترام الرأي الآخر وقبوله، والمعاملة الإنسانية لأقرانه، والتسامح معهم، والمحافظة على البيئة نظيفةً والمساهمة في تجميلها، والتنافس الحُرّ الشريف للنجاح والتقدم.

ومن قيم المواطنة حب الوطن، وعدم خيانته، والدفاع عنه في أوقات السلم والحرب، وحمايته من الأخطار، وصد الشائعات عنه، وحفظ أمنه واستقراره، والتصدي لمن يزرع الفتنة والفُرْقة فيه، والعناية بمصالحه العليا.

وكذلك العلاقة الإيجابية بين الحاكم والمحكوم، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات المنوطة بكل طرف. واحترام النظام والقانون. وتحقيق المحبة والتآلف والتكاتف بين أفراد المجتمع، بحيث يقوم المجتمع بدوره تجاه أي فرد هو عضو فيه، من جهة العناية به، ومد يد العون له ماديًا ومعنويًا.

بالإضافة إلى بناء العلاقات الإنسانية الراقية، فشرعت الحقوق العامة والخاصة كحقوق الأرحام والجيران والضيوف والأصدقاء وغيرهم، والاهتمام بالأسرة؛ كونها ركيزة المجتمع، وحاضنة الأفراد، وبناء الفرد علميًا، والتخلُّق بالأخلاق الحميدة؛ حتى أصبح كل فرد في المجتمع مثالًا يُقتدَى به في نبل أخلاقه، وتحمل المسئولية، والتحلي بالرقابة الذاتية، ويقظة الضمير، وحُسن أداء الأمانة، وإتقان العمل.

المواطنة أساس جميع الحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية

وكذلك العمل التطوعي، والمحافظة على البيئة، وحمايتها، والمحافظة على الموارد الحيوية، ومنع التبذير والإسراف، والعناية بالثروة الحيوانية والنباتية، والتحلي بالوسطية والاعتدال، ونبذ الغُلوِّ والتطرف.

فقيم المواطنة تجعل كل فرد عضوًا صالحًا في مجتمعه، ولاءً وانتماءً وعملًا وسلوكًا، من خلال المساواة التي تنعكس في العديد من الحقوق؛ مثل حق التعليم، والعمل، والجنسية، والمعاملة المتساوية أمام القانون والقضاء، واللجوء إلى القضاء، والمعرفة والإلمام بتاريخ الوطن ومشاكله، والحصول على المعلومات التي تساعد على ذلك.

ثقافة المواطنة تأكيد لثقافة الديمقراطية

تدعم المواطنة قيمة الحرية التي تنعكس في العديد من الحقوق؛ مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، وحرية التنقل داخل الوطن، وحق الحديث والمناقشة بحُريَّة مع الآخرين حول مشكلات المجتمع ومستقبله، وحرية التأييد أو الاحتجاج على قضيةٍ أو موقفٍ أو سياسةٍ ما.

كما أن المواطنة ترسي قيمة المشاركة التي تتضمن العديد من الحقوق، مثل الحق في تنظيم حملات الضغط السلمي على الحكومة أو بعض المسئولين فيها لتغيرَ سياستها أو برامجها أو بعض قراراتها، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمي المنظم مثل التظاهر والإضراب كما ينظمها القانون، والتصويت في الانتخابات العامة بأشكالها كافة، وتأسيس أو الاشتراك في الأحزاب السياسية أو الجمعيات أو أي تنظيمات أخرى تعمل لخدمة المجتمع أو لخدمة بعض أفراده، والترشُّح في الانتخابات العامة بأشكالها كافة.

وتعزز المواطنة المسئولية الاجتماعية، والتي تتضمن العديد من الواجبات؛ مثل واجب دفع الضرائب، وتأدية الخدمة العسكرية للوطن، واحترام القانون، واحترام حرية وخصوصية الآخرين.

دور وسائل الإعلام في غرس قيم المواطنة في نفوس الأطفال

أصبح الإعلام في ظل مرحلة ما بعد الحداثة، المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي حلت محلَّ كُلٍّ من الأسرة والمؤسسات التعليمية، ومن خلال هذه الوظيفة يمارس الإعلام أخطر أدواره الاجتماعية، والتي تتمثل في إحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيُّف مع متطلبات ما بعد الحداثة وشروطها، من خلال الإسهام في تكوين ودعم قيم المواطنة لديهم.

في ضوء ما سبق يمكن التأكيد على أنه لا يمكن لأي تغيير أن يتم بمعزل عن استخدام وسائل الإعلام، وذلك لما يتم من خلال هذه الوسائل من عمليات تكوين الآراء، وتغيير المفاهيم وأنماط السلوك، وتثبيت القيم المرغوب فيها، وتدعيمها؛ لذا يمكن استخدام وسائل الإعلام للتفاعل مع الأطفال على نطاقين واسعين؛ هما: إمداد الأطفال بمزيدٍ من المعلومات والتحليلات التي تتعلق باحتياجاتهم الفعلية كمواطنين مسئولين. كما أن الإعلام قادر على ملء الفجوات الموجودة في شتى المجالات؛ مثل: التعليم، والتوجيه والإرشاد في مجالات الصحة العامة، والوعي السياسي، والمشاركة، وحقوق المُواطَنة والواجبات المدنية، والفرص، والقيود التي تفرضها مرحلة ما بعد الحداثة. ويجب على الإعلام أن يتطور حتى يصير قناةَ اتصالاتٍ باتجاهين يتفاعلان مع بعضهما البعض تسمح للأطفال بالتعبير عن أنفسهم، وأن يتم الاستماع إلى آرائهم، وأخذها على محملٍ جدِّي.

للمواطنة حقوق وواجبات وتسهم في بناء وتنمية الوطن

كما يمكن توظيف وسائل الإعلام لقيم المواطنة من خلال طرح أفكار مثل: أهمية ثقافة التعايُش السلمي، والحب، والتسامح، والإخاء، والنظر إلى الاختلاف على أنه أمر طبيعي، والمساواة بين جميع البشر.

بالإضافة إلى التوعية بأهمية أن يفهم المواطن حقوقه وواجباته، من خلال تحفيز الأطفال على المشاركة في مختلف الأحداث التي تقع في المجتمع، والاقتناع بأهمية تفعيل دولة القانون، وعدم إهمال مصالح الأقلية من باب تنفيذ رأى الأغلبية، وإنما على الجميع واجباتٌ وللجميع حقوقٌ متساوية.

فعلى وسائل الإعلام دورٌ رئيسٌ في التعليم والتنشئة الاجتماعية، من خلال إكساب الأطفال المهارات الاجتماعية، وتعريفهم بالخصائص الثقافية للمجتمع حتى يتحقق التماسك الاجتماعي، والاتفاق حول الرموز والأهداف الوطنية؛ وكذلك التمسك بالعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية التي تحدد هُويَّة المجتمع، وتجعل الفرد يكتسب هويته.

حيث تلعب وسائل الإعلام دورًا في تشكيل ثقافة وقيم المواطنة لدى الأطفال، من خلال عرض القيمة على الأطفال بجوانبها المختلفة بصورة سهلة متدرجة مبسطة، مع مراعاة اختيار الوقت، والمكان، والظروف المناسبة، وبيان آثارها عليه، مع ضرب أمثلة عملية من السابقين والمحيطين – إن وُجِد – والإلحاح على القيمة بأكثر من وسيلة، ولفترة زمنية متصلة. ويمكن الوصول إليها عن طريق القدوة العملية، وربط الأسباب بالنتائج.

كما ينبغي لوسائل الإعلام أن تعمل على التأصيل العقلي، والعملي، والتاريخي، لقيم المواطنة في نفوس الأطفال، فيقوَى اعتقادهم بها ويجتهدون في التمسك بها وعدم التخلي عنها تحت أي ضغوط، ويمكن الوصول إليها عن طريق التأصيل العقلي بالبراهين العقلية على أهمية وأثر التمسك بقيم المواطنة.

ويجب على وسائل الإعلام الموجهة للأطفال الأخذ بأيديهم ومساعدتهم على التطبيق العملي لقيم المواطنة؛ حتى يتم التأكد من قدرتهم على الممارسة الذاتية دون مشكلات.

ويمكن الوصول إليها عن طريق تقديم القدوة العملية، والتحفيز والترغيب والترهيب؛ مما يشجع الأطفال على التمسك بالقيمة، وأدائهم لها بصورة ذاتية، حتى تبرز قيم المواطنة في الطفل، ويصبح متميزًا في فهمها وتطبيقها، ويشهد له المحيطون به ويتحرك بها فيمن حوله بصورة طبيعية. ويمكن عندها تحفيزه ليصل بقيم المواطنة لمن حوله والتأثير فيهم.

دور الأسرة والمجتمع المدني في غرس قيم المواطنة

وللأسرة دورٌ مهمٌّ في مدى تثقيف الطفل، فهي الأساس في نشأة الطفل على حب بلاده، وغرس قيم المواطنة لدى أبنائها، بدءًا من احترام إشارات المرور ونظافة الشارع الذي يعيش فيه. وعلى الآباء تشجيع أبنائهم على

المواطنة تجعل المواطن صالحاً ولاءً وانتماءً وعملاً وسلوكاً

خدمة المجتمع من ناحية مزاولة الأنشطة العديدة كالأعمال التطوعية.

فينبغي تعليم النشء أن المواطنة ليست ألفاظًا وشعاراتٍ دون أعمال، إنما هي سلوك يتمثل في الخُلُق المسئول عن تحصين الأطفال في المستقبل ضد أي أفكار منحرفة، أو دعاوى غير سوِيَّة، وإعداد شباب يسهم في بناء الوطن بما يقتضيه هذا البناء من تضحيات والالتزام بالعمل والعلم.

ويتم ذلك من خلال تفعيل دور المجتمع المدني في تحمُّل جزء من واجبات الدولة، فضلًا عن انتخاب رؤساء الأحياء والمدن وعمد القرى، وتفعيل دور المجالس البلدية في الرقابة. بالإضافة إلى تفعيل النصوص الدستورية والقانونية الخاصة بقيم المواطنة، من خلال ممارسات فعلية تضمن تطبيق حقوق المواطنة وحرياتها، وأن تتوافر نظم المتابعة، والرقابة القانونية والسياسية، والشعبية لهذه الممارسات. بهذا يتحول مبدأ المواطنة من نصٍّ دستوريٍّ إلى واقعٍ حيٍّ مَعِيش يلمسه المواطنون في حياتهم اليومية.

تاريخ رسوم كتب ومجلات الأطفال

عبد الرحمن بكر
كاتب ورسام – مصر

بداية الرحلة:

الرسوم المقدمة للطفل من المجلة إلى الكتاب:

بدأت رحلة رسوم كتب ومجلات الأطفال في مصر مع بداية القرن الماضي، ورغم أن مصر كانت من أول من أصدر مجلات الأطفال وذلك عام ١٨٧٠ حين أصدر رفاعة الطهطاوي مجلة روضة المدارس، فإن الرسوم لم تكن يومها تستخدم في ما يصدر للأطفال، حيث أنه مع بدايات القرن حين بدأ الرسامون الأرمن والإسپان والأتراك يعملون في مصر في مجال الإعلان ثم الصحافة، بدأ الاهتمام يومها بما يصدر للطفل فكانت البداية شاقةً وعسيرة.

إلا أن ما كانت تعيشه مصر في بداية هذا القرن من انفتاحٍ كبيرٍ على العالم قد أذهلني وقدمتُ فيه دراسة كاملة، وهو سَبْق المصريين لشركة والت ديزني بـ ١٢ سنة في إصدار مجلات الأطفال المرسومة «الكوميكس»، حيث أن مجلة الأولاد المصرية والتي صدرت عن دار اللطائف المصورة عام ١٩٢٣ كانت تعتمد على الرسوم الدقيقة ذات المستوى الرائع، بينما بدأت شركة والت ديزني في إصدار مجلة ميكي عام ١٩٣٥، وهي التي تعتمد أيضًا على الشريط المرسوم «الكوميكس».

أول مجلة طفل مصرية

وقد تميزت الرسوم في **مجلة الأولاد المصرية** ببراعة شديدة، حيث كان الفنان التركي رفقي هو الذي يقوم بالرسوم ومعه أخوه الفنان عدلي، إلى أن تمرن على يديهم بعد سنوات قليلة عدد من الفنانين المصريين؛ على رأسهم الفنان محمد عبد المنعم رخا، والفنان زهدي العدوي.

ولم تتوقف الرحلة عند هذا الحد، بل انطلقت من مصر العديد من مجلات الطفل، والتي بلغت قبل ثورة يوليو قرابة ٢٩ مجلة

مصر سبقت والت ديزني بـ ١٢ سنة في إصدار مجلات الأطفال المرسومة (الكوميكس)

كان الكثير منها يتميز برسوم رائعة، لكننا يجب أن نتوقف في تلك الرحلة عند مرحلتين هما أهم ما في تلك الفترة، والمرحلة الأولى هي **مجلة علي بابا**.. تلك المجلة الرائعة التي صدرت عن دار الشمرلي، والتي كان يرسمها في البداية الفنان مصطفى كامل وكانت بداياته يومها بسيطة، لكن الحاجة لمجلة طفل خفيفة الظل جعلت الطفل يتقبَّل بساطة الخطوط،

لكن المنافسة الفنية التي جاءت يومها فغيرت خريطة مجلات الطفل وجعلت التركيز على قوة الخطوط، هو إصدار الأديب محمد سعيد العريان **لمجلة سندباد** عن دار المعارف، والتي تميزت يومها بأنه كان على رأس قائمة الفنانين الذين يرسمون بها الفنان «بيكار» هذا الفنان الذي ابتكر شخصية سندباد، وجعلها ذات طابَع متميز وألوان مبهرة؛ مما جعل الأطفال يتلهفون على المجلة ويسارعون بشرائها حتى كادت مجلة «علي بابا» أن تخرج من المنافسة؛ وخصوصًا أن دار المعارف استخدمت عددًا من الفنانين المتميزين مع بيكار؛ وعلى رأسهم الفنان زهدي العدوي، والفنان محمد تاعب، والفنان الأرميني «ديك».

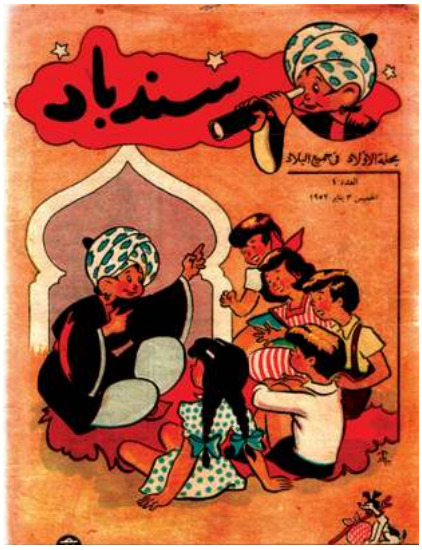

الصراع من أجل الصمود «علي بابا والسندباد»

وهنا أصرت مجلة علي بابا على الصمود، عندما استقدمت الفنان الكبير «الحسين فوزي» ليرسم أغلفة المجلة، وكانت ألوانه ورسومه قوية جعلت مجلة علي بابا تصمد لسنوات، بالإضافة إلى أن المادة المكتوبة التي كانت تُقدم في مجلة سندباد كانت «ذات لغة رصينة» واهتمام كبير بالناحية الأدبية؛ مما كان يجعل المعلمين يطالبون تلاميذ المدارس بشرائها، أما علي بابا فكانت تعتمد على المواقف الطريفة، وأحيانًا اللهجة العامية.. لكن مع الزمن لم تصمد مجلة علي بابا واستمرت مجلة سندباد، مع دعم مؤسسة دار المعارف لها.

وعند صدور **مجلة سمير** التي بدأ الرسم بها الفنان الفرنسي بيرني، والأرمني هارون، ثم انضم لها جيشٌ من الفنانين المصريين والعرب؛ على رأسهم الفنان المصري حجازي، والفنان لطفي وصفي، والفنانة مادي، والفنان جمال قطب، والفنان عفت حسني، والفنان محمد حجي، والفنان نسيم جرجس، والفنان كمال برشومي، والفنان محمد حماد، والفنان حلمي التوني، والفنان بهجت عثمان، والفنان جلال عمران، والفنان محمد أبو طالب، والفنان صلاح عسكر، والفنان محمد قطب، والفنان عبد السميع، والفنان اللبَّاد، والفنان عادل البطراوي، والفنان محمد تاعب، والفنان سيداوي، والفنانة صدقة، والفنان فايز، والفنان ولاء وهبي، والفنانة آمال خطاب، والفنان علاء السعيد، والفنانة هدى المرشدي، والفنان محمد التهامي، والفنان هاني طلبة، والفنان فواز، والفنان ميشيل معلوف، والفنان سيد عبد الفتاح، والفنان مصطفى برشومي والفنانة رحاب محيي، والفنان عبد المجيد مصطفى، والفنان ممدوح طلعت، والفنان ياسر نصر، والفنان عبد المرضي، والفنان رأفت محيي الدين، والفنان محسن رفعت، والفنان محسن عبد الحفيظ، والفنان عبد الرحمن بكر، والفنان أحمد عبد النعيم، والفنان خالد عبد العزيز، والفنان ماهر عبد القادر وكثير جدًا غيرهم..

هؤلاء الفنانون الذين لم يتوقفوا عند قضية مجلة الطفل، ولكن كان لهم تأثيرٌ كبيرٌ في كتاب الطفل في مصر.

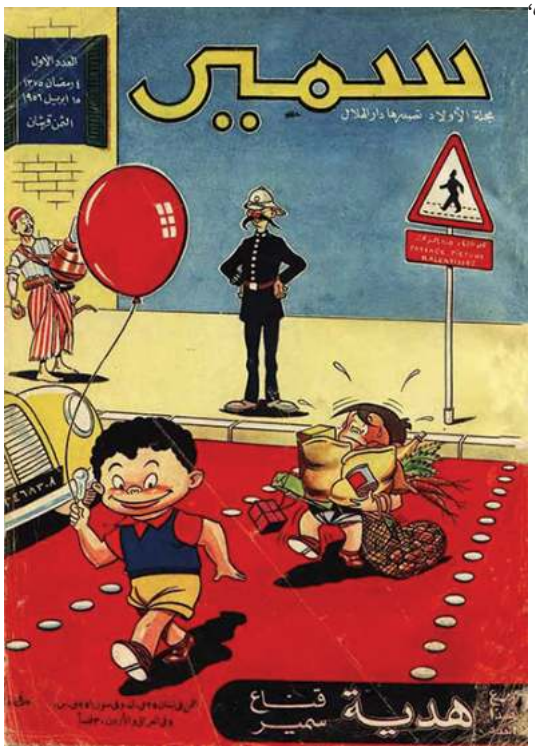

رحلة كتاب الطفل «البدايات الأولى»:

ربما يكون ما وصلنا من كتب الأطفال في بدايات القرن في مصر قليلًا، وذلك لاهتمام المؤسسات الصحفية في مصر بالصراعات السياسية والتنافس في إصدار الصحف، والاكتفاء بمجلات الطفل؛ لكن كتاب الطفل بدأ يظهر كفَنٍّ وصناعةٍ حقيقية على يد الأديب الكبير والرائد الحقيقي لهذا المجال الأديب «كامل الكيلاني».

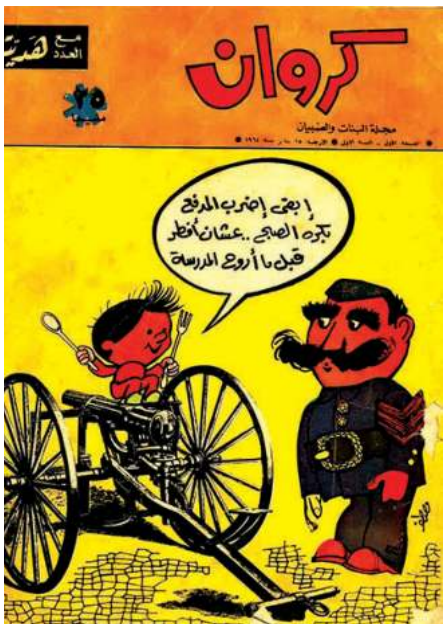

وذلك حين ظهرت في المكتبة العربية سلاسل من مُؤلَّفات الكيلاني نجحت في أن تقوِّي محصول اللغة عند الطفل، وتخترق عالمه الخيالي حيث أن الطفل قبلها لم يكن يعرف سوى حكايات الجَدَّات، وقد أضاف الأديب كامل الكيلاني لرصيد المكتبة العربية كمًّا هائلًا من كتب الأطفال قام بترجمتها، وتبسيطها ببراعة مثل كتابَيْ (روبنسون كروزو) و(رحلات جليـفر الأربع)، والتي كانت في البداية مصاحبة لنسخة من رسومها الأصلية لكنه قرر الاعتماد على مجموعة من الفنانين لينفذوا له رسوم كتبه، فقرر أن يستخدم الفنان الأرمني «ديك» الذي رسم له مجموعة قصص رياض الأطفال، ومنها «كتاب الأرنب الذكي» والسلسلة الفكاهية التي منها كتاب «حذاء الطنبوري» وفي رسم قصص شكسبير الفنان الإيطالي «موريلِّي»، ثم استخدم الفنانة النمساوية (ستيلا يونكرز) في رسم مجموعة من القصص، ومن الفنانين المصريين رسم له الفنان بيكار أول كتبه الملوَّنة (علي بابا) وكتاب (أبوصير وأبوقير) و(فيروز شاه) في عام ١٩٤٦.

وكانت أعمال الأديب كامل الكيلاني نقلة كبيرة في عالم الطفل، وفي مؤسسة دار المعارف التي تعاونت معه وضمت مطبوعاته إلى مكتبتها، واتجهت أيضًا إلى صناعة كتاب الطفل، والاستفادة من رصيد مجلة سندباد من القصص المكتوبة وتحويلها إلى كتبٍ للأطفال، فصدرت أعمال سعيد العريان، برسوم الفنان «ديك» والفنان «موريلِّي»، ثم قامت الرسامة النمساوية «ستيلا يونكرز» برسم بقية الأجزاء الثلاثة عشر من كتاب ألف ليلة وليلة لمحمد أحمد برانق، وحسن جوهر، وأمين دويدار.

وكان لدخول الفنان بيكار مجال كتب الأطفال بدار المعارف نتاج رائع، فقد رسم كتبًا كثيرة؛ منها (كُتكُت المدهش) و(البطة السوداء) و(فرفر والجرس) و(آلة الزمن) و(عيد ميلاد فُلَّة).

واستمر الإبداع في كتاب الطفل في دار المعارف فكانت سلسلة مهمة، وهي «المكتبة الخضراء» والتي كتب فيها رواد أدب الطفل؛ مثل «أحمد نجيب، ويعقوب الشاروني، ومحمد عطية الإبراشي وعبد التواب يوسف، وعادل الغضبان» وغيرهم، ورسم فيها كبار الفنانين؛ مثل بيكار وهاني المصري وعبد الرحمن نور الدين وعادل البطراوي، ومصطفى حسين، وعبد الرحمن بكر وحسام الدين عبد الغني.

كتاب الطفل ظهر كفن وصناعة على يد كامل الكيلاني

وهنا يجب أن أشير إشارة مهمة إلى «الأديب يعقوب الشاروني»، الذي اختلف عن غيره من كثير من أدباء الأطفال في أنه في جميع كتبه وعلى مدى أكثر من أربعين عامًا كان يُصرُّ على أن يجتمع مع الرسام، ويقرأ معه النص، ويحضر له كل ما لديه من بحوث وموسوعات وصور استعان بها في عمله، ونماذج من كتب رسمها كبار فناني الأطفال في العالم تناسب المرحلة السِّنيَّة التي كتبها؛ لكي يطَّلع عليها الرسام لتُثري خياله قبل أن يبدأ في رسم النص، وهذه الطريقة الواعية لا يطبقها سوى المؤسسات الكبرى في العالم.

الكتاب المترجم واتجاهاته الفنية

أخذت هذه البذرة تنمو، وتنمو معها قضية كتاب الطفل كنوع من النشر الخاص الموجَّه، وليس كتجميع لأعمال تصدر في مجلات أو ترجمات، فقد أصبحت الدراسات النفسية التي يجتهد فيها علماء الطب النفسي كل يوم تؤثر في مجال كتب الأطفال، وتطالبنا بتغيير

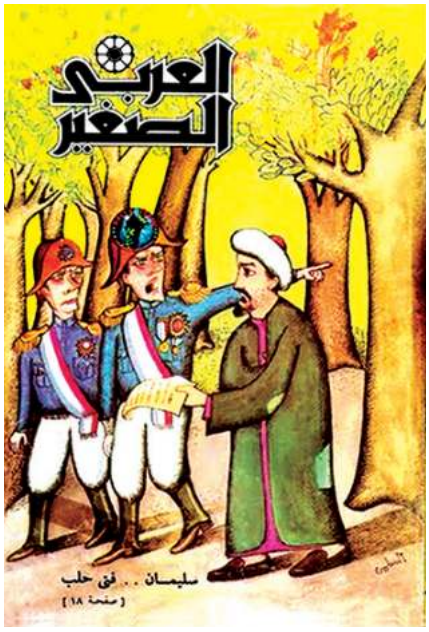

ما يُقدم له، كما أن ما وصلنا في السبعينيات من نتاج الفكر الروسي لكتب الأطفال وهو فكر مترجم مدعوم، غيَّر وجهة نظر الكثيرين فيما يجب أن يُقدم للطفل، فالخطوط أصبحت أكثر تلخيصًا، والألوان أصبحت أكثر بهجة، والتوجه نحو الفائدة والمتعة أصبح واضحًا، كما وضحت المراحل العمرية الثلاث التي نقدم فيها كتب الأطفال، وانفتح الباب للكتب المترجمة من أوروبا ومن أمريكا، واختلفت بها المدارس الفنية، واختلفت معها الأذواق والمدارس الفنية في مصر، منهم من أصر على البقاء على ما هو رصين من رسوم، وهو يدرك أن الطفل بحاجة إلى أن يعرف أدق التفاصيل في الرسوم، وأن يميز بين الألوان، ومنهم من تخلى عن كل شيء، وأصر على أن يرسم كما يرسم الطفل، وأن يطلق ليده العنان في المبالغة في الخطوط والاندفاع بالألوان.. كأنه طفل كبير يرسم، ومنهم من وجد طريقه بين المرحلتين، فلخص الخطوط، واختار أجملها، وأدقها، واختار أيضًا منها ما يستطيع التعبير عن النص المكتوب بشكل جيد، ومنهم من نجح في التعامل مع رصانة الخطوط، وجعلها تميز الموسوعات العلمية المقدمة للطفل، واختار للقصص المقدمة أسلوبًا يجمع بين الدقة والتبسيط، وهكذا تحركت كل ريشة في مصر وهي تحاول أن تبحث عن طريقها، وسط المدارس العالمية المفتوحة الأبواب، والكثيرة الإصدارات.

الإبداع في مصر، والإبداع في العالم

أحيانًا أتعجب من صدق المثل القائل «شرُّ البَلِيَّة ما يُضحك»، وشر البلية لا يحدث إلا في البلدان التي يحاولون قمعها بسلاح التسمية «بلاد العالم الثالث»، وكأن هذا الرقم يجب أن يكون قيدًا على الفكر يتم فرضه، وواجبًا علينا تقبُّله، دون تفكير في أن لكل بلد تاريخًا وتطورًا، وانحدارًا وارتفاعًا، وقد نسي العالم أن نابليون الذي جاء لنا متخيلًا أنه سيعلمنا المدنية والحضارة وجد عندنا حضارة سبعة آلاف عام فذاب فيها، وهكذا في مصر كما كان واجبًا على العامل المصري البسيط أن يرفع على ظهره آلاف الحجارة ليتم تكوين هرم الحضارة، فعلى المؤلف والرسام أن يعيشا العمر في صراع بين القلم والريشة، دون لحظة من الاسترخاء لكي يظهر نتاجهم للعالَم، ففي الدول الغربية يصدر كتاب به مجموعة من القصص للمؤلف، ويتبناه الناشر فيطبع منه آلافًا من النسخ، قد تصل إلى ملايين أحيانًا يحصل منها الكاتب والرسام على نسب «كريمة» تؤمِّن لهما حياة «كريمة».. ووقتًا طويلًا للاسترخاء والدراسة والكتابة، فالمؤلف يصدر له في حياته مجموعة أو مجموعتان أو ثلاث، والرسام مثله أيضًا، عكس ما يحدث في مصر.

نحتاج مؤسسات ثقافية حقيقية تهتم بما يقدم للطفل

كتاب الطفل.. بين المؤلف والرسام والناشر

وهنا تبرز لنا قضية من أهم قضايا كتاب الطفل، فيجب علينا أن نعي الصراع الحقيقي الذي يعيشه هؤلاء الثلاثة قبل أن يخرج الكتاب إلى عالم الطفل.. قبل أن تلمسه أنامله الرقيقة، وتحكم نظرته الأولى على الكتاب.. إما أن يحتضنه، ويصادقه، أو يلقيه في أقرب مكان تصل إليه يده ويبحث عن شيء آخر يقضي فيه وقته ويتأثر به مستقبله..!

البداية دائمًا تكون عند المؤلف صاحب الفكرة الذي عاشها في خياله، وخطَّها على

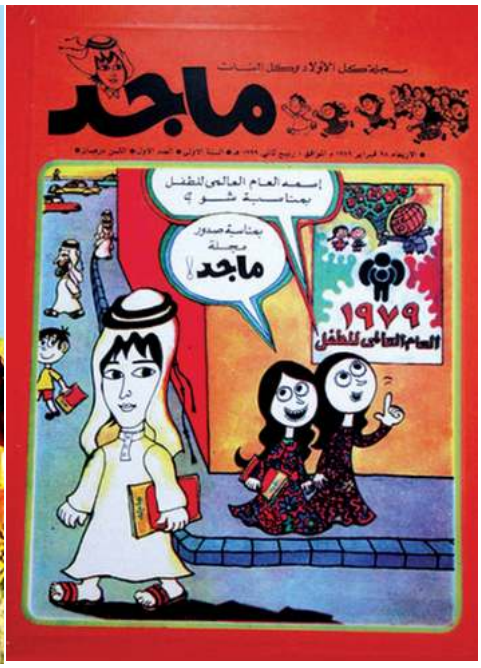

أوراقه، وحدد مرحلتها السِّنية، وحكاها لأطفاله، وأطفال جيرانه، ونجح أخيرًا أن يُقنع بها الشريك الآخر وهو الناشر، الذي إذا أردناه مثاليًا فيجب أن يكون صاحب قضية هدفه وصول الكتاب إلى أكبر شريحة من الناس بسعر مناسب، ويكون أيضًا لديه اهتمام خاص بجودة الكتاب وحُسن طباعته.

وهنا يتدخل الشريك الثالث وهو الذي يستقطبه الناشر فور الاقتناع بكتاب الطفل، وهو الذي يكون عليه العبء الأكبر في نجاح الكتاب؛ حيث إن خطوطه وألوانه هي التي باستطاعتها أن تجذب الطفل من النظرة الأولى ليمد يده على الرف ويشتري الكتاب.

ندرة رسامي كتب الأطفال المحترفين

لا يستطيع أحد أن يقول إن مصر ليس بها عددٌ كبيرٌ من رسامي كتب الأطفال المحترفين مع ذكرنا لهذه الأسماء الشهيرة في عالم الطفل، على العكس فقد كثُر في السنوات الأخيرة عدد الرسامين الشباب وظهر منهم جيل جديد، وتنوعت أساليبهم، وزاد اطلاعهم على الاتجاهات الحديثة في رسم كتب الأطفال، ولكن ما نعانيه حقيقة في هذا المجال هو أن ما يتم تقديمه من الناشر كأجر لرسامي كتب الأطفال مجرد مبالغ زهيدة، أقل ما يمكن أن توصف به هو أنها وسيلة عظيمة لدفعه إلى البحث عن عمل آخر.

نقص العمل المؤسسي

وهنا يجب أن نضع عدة خطوط حمراء تحت تلك الكلمة، فالعالم كله يتجه إلى دنيا المؤسسات، فهي التي تعمل على إنجاح الأعمال الكبرى، فالعمل الفردي واحد من أهم الأسباب التي جعلت جيلًا كاملًا من كُتاب ورسامي كتب ومجلات الطفل يعانون كل تلك المعاناة، والعمل الفردي هو أيضًا الذي جعل الكثير من نجاحاتنا يختفي أو يضيع مع الزمان، فهو ينمي عدم الشعور بمسئولية وخطورة ما نقدمه لأطفالنا، ويجعلنا نتهاون به ولا نجيد سوى لغة النقد للموجود.

فنحن باعتبارنا مبدعين لا نُحسن التخطيط للمستقبل، ونترك بناء الأجيال للظروف، ويكفي أن أقول إن الكارثة الكبرى هي أن مجلاتٍ عربيةً أسبوعيةً عريقةً دامت لأكثر من عشرين عامًا لا تمتلك حتى أرشيفًا للمجلة، ولا تحتفظ بأصول الرسوم وإبداعات الكُتاب الذين كتبوا بها، رغم أن معظم أدباء العرب يقدمون فيها أجمل إبداعاتهم ومعظم هؤلاء الفنانين الذين سبق ذكرهم، قدموا عمرهم على شكل لوحات داخل تلك المجلات، لسنوات طويلة.. وعمر مجلة الأطفال هو أسبوع يأتي بعده العدد القادم ويختفي العدد السابق بما به من جهد، ولا يبقى في الذاكرة إلا أرشيف فني وتاريخ أدبي.. في العالم المتطور يتحول هذا الأرشيف المذهل إلى مكتبة رائعة، وإصدارت تعيش أكثر مما تعيشه المجلة بكثير.

وأنا أدعو أن يكون هناك مؤسسات ثقافية حقيقية تهتم بما يُقدم للطفل وتجمع بداخلها أهم مبدعيه، وتتبنى ورشًا تدريبية لإنتاج أجيال جديدة من المبدعين، وتدرس قبل الإنتاج كيفية التسويق ليصل العمل الإبداعي إلى أكبر شريحة من الأطفال.

بين الريشة والنص

المؤلف يحلم بصدور كتابه الذي وضعه بين يدَي الناشر، وقام الناشر بدوره وكلف الفنان به، ولكن الفنان أراد أن يظهر عمله في أحسن صورة، وعلى أكبر مساحة، فجار على النص، ورسم بحُريَّة كبيرة على صفحاته البيضاء، ونسي أن فنان كتب الأطفال، من حقه أن يكون في أعلى درجات الحرية وأن يتخلص من كل القيود، إلا قيدًا واحدًا يجب أن يحترمه، وهو قيد احترام النص، والسن المقدم إليها، فعلى عمله أن يكون إضافة جمالية توضح ما قام به الكاتب من إبداع، كما أن عليه احترام القيَم التربوية للمرحلة السِّنيَّة والشئون الخاصة بالمقاس، والطباعة، كما أنه على الرسوم المقدمة بالكتب أن تساعد الطفل وتعطيَه القدرة على التخيُّل والإبداع.

ملف العدد
تنشئة الطفل في زمن كورونا

يتناول هذا العدد استكمال ملف فرض ذاته وبمواصلة البحث والدراسة فيه، وهو «**تنشئة أطفالنا في زمن كورونا**»، فلا شك أن ظروف جائحة فيروس كورونا قد أضفت بظلالٍ كثيفةٍ على العالم أجمع، وخلَّفت تداعياتٍ وتأثيراتٍ على الجميع خاصة الأطفال بل وستترك آثارها لأجيال. وقد جاء ملف هذا العدد متضمنًا خمسة موضوعات متنوعة ما بين طرح الأثر وشرح الواقع المَعِيش للطفل، مع وضع مجموعة من التوصيات والمقترحات؛ سعيًا نحو مساعدة الطفل وحمايته في هذه الظروف غير المسبوقة، والتي تمثل أكبر أزمة إنسانية في التاريخ الحديث. وفيما يلي ما تضمَّنه الملف:

- حول «**آثار جائحة فيروس كورونا على الأطفال**»، جاء موضوع الأستاذ نور الدين بلفخاذ مدير المركز النفسي البيداغوجي للأطفال المُعوَّقين ذهنيًا بالجزائر، والذي تناول من خلاله الآثار النفسية والتعليمية والصحية والغذائية والاجتماعية على الأطفال جرَّاء تلك الجائحة، مُعوِّلًا على دور الأسرة وما يمكن أن تقوم به لمساعدة أطفالها في تلك الظروف الصعبة.

- في حين يتناول موضوع «**الضغوط النفسية لوباء كورونا على الأطفال**» للدكتور أحمد أوزي أستاذ التربية بجامعة محمد الخامس المغربية، ما سبَّبته الجائحة من ضغوط وحساسية نفسية على الأطفال، والتي قد تظهر في نوباتِ بكاءٍ غير مُبرَّر وصعوبة في النوم والكوابيس والحزن...، وقدم أيضًا التحديات النفسية التي يعاني منها الأطفال مع نمط التعليم عن بُعد، والتي ترتبط بأسباب مادية أو تكنولوجية أو لقصور المهارات المرتبطة بالرَّقْمَنة.

- وجاء بعد ذلك موضوع «**التثقيف الصحي للطفل وجائحة كورونا**» للكاتب خلف أبو زيد؛ ليستعرض من خلاله أهمية التثقيف الصحي بشكلٍ عام وفي ظل الجائحة، وأهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في تبنِّي الممارسات الصحية السليمة، إضافةً إلى دور المدرسة عبر مختلف مراحل الدراسة، عن طريق المعلم والمنهج والإخصائي والزائرة الصحية، وعبر ما يُقدم من أنشطة توعوية.

- ويأتي .. موضوع «**الحظر.. مهارات اتصال جديدة بين الآباء والأبناء**» للإعلامية الدكتورة نادية النشار، والذي ركَّز على ما سبَّبه الحظر خلال جائحة كورونا من تغيير في أساليب الحياة، وهو ما دفع إلى أهميةِ اكتسابِ مهاراتِ اتصالٍ جديدةٍ بين أفراد الأسرة، وذلك مثل الحوار والمشاركة وتوزيع المسئوليات...، داعيةً إلى أن يقدم هذا الوقت فرصًا حقيقيَّة للتغيير.

- وأخيراً.. الدكتورة شوق النكلاوي مدرس أدب الطفل بجامعة مطروح المصرية؛ فقد جاء موضوعها حول «**التعليم المدمج في زمن كورونا، هل نملك رفاهية الاختيار؟**»، والذي أشارت من خلاله إلى أن جائحة كورونا قد دفعت إلى ضرورة التفكير في أنماط وآليَّات جديدة للتعليم من بينها التعليم المُدمَج، الذي يجمع بين التعليم وجهًا لوجه والتعليم عن بُعد؛ خاصة أن هذا النمط يمكن أن يقضي على مشكلات كثافة الفصول ويُسْهم في تقسيم أيام الدراسة، على أن تتم التهيئة لتطبيقه بعد أن صار هذا النمط من التعليم أمرًا حتميًا في ظل كورونا.

آثار جائحة فيروس كورونا على الأطفال

نورالدين بولفخاذ

مدير المركز النفسي البيداغوجي للأطفال ذوي الإعاقة ذهنيًا – الجزائر

تمر البشرية بأسرها بوضعية صحية غير مسبوقة جراء جائحة ڤيروس كورونا، الذي أصاب الملايين من البشر وحصد أرواح الآلاف منهم ولا زال لحد الساعة متفشيًا في شتى أنحاء العالم، ولا أحد يدري متى يتم إنتاج اللقاح الفعال وبالكمية الكافية، وبقدر خطورة هذا الوباء على حياة البشرية فإن آثاره الاقتصادية والاجتماعية كانت أشد وقعًا على الحياة العامة للناس.

والأطفال هم أول ضحايا تداعيات الوباء وكانت آثاره واضحة على حياتهم النفسية والتعليمية والاجتماعية والصحية والغذائية، جعلت المنظمات العالمية والمحلية تدق ناقوس الخطر، لا سيَّما منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، من خلال حملات التوعية والتحسيس وتقديم النصائح والإرشادات والمساعدات المادية؛ من أجل حماية الأطفال والتخفيف من الآثار التي خلَّفتها هذه الجائحة والتي نستعرض بعضها في السطور التالية:

- الأثر النفسي:

إن ڤيروس كورونا لم يستثنِ أي بيت تقريبًا، فقد نجد عائلة على الأقل بها فرد مصاب أو تُوفي بسبب الـڤيروس، وهذا الوضع خلق لدى العديد من الأسر حالة من الذعر والخوف والوساوس، وفي ظل هذه الظروف النفسية المضطربة وغير المستقرة، كان الأطفال الأكثر تأثرًا وانفعالًا جراء إصابة أحد أفراد الأسرة أو وفاته، وحسب منظمة الصحة العالمية فإن في إيطاليا ٣١٪ من الأطفال يعانون مشاعرَ الوحدة، و٣٨٪ لديهم اضطرابات عصبية، و٣٩٪ يعانون القلق، و٧٧٪ لديهم صعوبة في التركيز. وحذرت الدكتورة إديث براتشو مديرة طب الأطفال وأستاذ مساعد في طب الأطفال في مركز جامعة إرڤينج بجامعة كولومبيا بنيويورك، من تجاهل أعراض قلق الأطفال بسبب وباء كورونا، حيث أن التغاضي عن مشاكل الصحة النفسية للأطفال والمراهقين ستكون له عواقب مدمرة لسنوات.

- الأثر التعليمي:

بادرت الدول والحكومات إلى إغلاق المدارس والجامعات ودُور الطفولة في الأيام الأولى من ظهور الوباء حفاظًا على صحة الأطفال وسلامتهم، ولجأت إلى تطبيق الحَجْر الصحي واعتماد بروتوكولات وقائية؛ منها التزام المنازل والتباعد الاجتماعي وارتداء الكمامات والاستعمال المستمر للمواد المطهرة، وكان لهذه الإجراءات غير المألوفة

التغاضي عن مشاكل الصحة النفسية للأطفال بسبب الجائحة ستكون له عواقب مدمرة لسنوات

آثار سلبية على حياة الأطفال، وعلى رأسها الجانب التعليمي.

وحسب إحصائيات اليونيسف فإن عدد الأطفال المتعطلين عن الدراسة في العالم قرابة ٨٠٠ مليون طفل وهذا عدد لا يُستهان به، وإن العديد منهم – زيادة على أوضاعهم الاجتماعية الرديئة – فإن الوباء قد فاقم من هذه الأوضاع؛ فهم لا يملكون الوسائل التعليمية اللازمة ولا المحيط الأسري الذي يشجعهم ويساعدهم على ذلك. وقالت المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم أودري أزولاي: **«لم نشهد من قبل تعطلًا تعليميًا بهذا الحجم والشراكة هي السبيل الوحيد للمُضي قُدمًا»، وقالت: «لا يمكن للتعليم أن يتوقف».**

وفي هذا الإطار ومن أجل ضمان مواصلة التعليم وعدم حرمان الأطفال من أحد حقوقهم الأساسية، بادرت العديد من الدول والحكومات بإطلاق العديد من البرامج التعليمية لجميع الأطوار، لا سيما المقبلين على الامتحانات النهائية عبر القنوات الإذاعية والتلفزيونية والإنترنت؛ من أجل تمكين الملايين من الأطفال من مواصلة تعليمهم وتجنب الانقطاع التام عن الدراسة، الذي يمكن أن يؤدي إلى نسيانها أو التخلي عنها لدى العديد من الأطفال، وهذا ما أكده روبرت چينكيز مدير قسم التعليم في اليونيسف، بقوله: «إن لم نعمل الآن بشكل جماعي على حماية تعلُّم الأطفال فإن المجتمعات والاقتصادات سوف ترزح تحت وطأة العبء لمدة طويلة»، وقال: «استنادًا إلى الدروس التي تعلمناها من إغلاق المدارس بسبب الإيبولا، فإنه كلما طالت فترة ابتعاد الأطفال عن المدرسة قلَّ احتمال العودة إليها».

لكن يبدو أن هذه التدابير لم تتمكن من استقطاب اهتمام جميع الأطفال لأسباب عديدة؛ منها أن العديد منهم لا يملكون الوسائل الإلكترونية اللازمة أو أن تدفق الإنترنت ضعيف أو أن بعضهم لا يهتم بالبرامج التعليمية المقدمة عن طريق جهاز التلفزيون أو الراديو لعدم تعودهم على ذلك، أو أن الظروف الأسرية المحيطة لا تسمح لهم بالتركيز والانتباه، وفي هذا الصدد صرحت اليونيسف: «يجب أن نبذل المزيد من الجهود لضمان حصول جميع الأطفال على التعليم على نحوٍ متساوٍ». وتدعو اليونيسف الحكومات لتوسيع خيارات التعلّم في المنزل، بما في ذلك إيجاد حلول لا تتطلب استخدام تقنيات الاتصالات أو تتطلب مستوًى منخفضًا منها، وإيلاء الأولوية لإيصال خدمة الإنترنت للمناطق النائية والريف، ويجب أن نبذل المزيد من الجهود لضمان حصول جميع الأطفال على التعليم على نحوٍ متساوٍ.

اليونيسف: كلما طالت فترة ابتعاد الأطفال عن المدرسة قل احتمال العودة إليها

- الأثر الصحي:

إن فيروس كورونا أثَّر بشكل ملحوظ على الرعاية الصحية للأطفال لا سيَّما برامج التطعيم ضد الحصبة وشلل الأطفال، ناهيك عن بعض المشاكل الصحية المألوفة مثل نزلات البرد والتهاب اللوزتين والصداع والاضطرابات الهضمية والحوادث المنزلية الناتجة عن الحروق أو السقوط، فكل المستشفيات والمراكز الصحية سخَّرت كل طاقتها واهتمامها لمعالجة ورعاية المصابين بـفيروس كورونا ولم يعُد بمقدورها التكفل بالأطفال، وفي هذا الإطار صرح الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش قائلًا: «عندما تتحمل الخدمات الصحية عبئًا يتجاوز طاقتها تقل فرص حصول الأطفال المرضى على الرعاية الصحية، ومع تسارع الركود العالمي يمكن أن تقع وفيات إضافية في صفوف الأطفال تتراوح بين ١٨٠,٠٠٠ و ٣٠٠,٠٠٠ عام ٢٠٢٠».

ما خلفته الجائحة من تغيير للحياة اليومية له أثر ملحوظ على حياة الأطفال النفسية والاجتماعية

إن العديد من الأطفال يعيشون أوضاعًا اقتصادية واجتماعية مزرية وازدادت أحوالهم الصحية سوءًا؛ بسبب تراجع المدخول المادي للأولياء نتيجة لتعطل أو تقلص النشاط الاقتصادي، فكان لذلك تبعات صحية إضافية على الأطفال، وقالت اليونيسف: «يجب أولًا بذل جهود دولية للحفاظ على صحة الأطفال وفي الأجزاء الأكثر فقرًا في العالم، والذين هم بحاجة ماسَّة للخدمات الأساسية كالحماية من الالتهاب الرئوي والملاريا والإسهال».

- الأثر الغذائي:

يعاني الملايين من الأطفال عبر العالم لاسيما في الدول النامية سوءَ التغذية وتَردِّيًا في الأوضاع المعيشية نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وقد تفاقمت هذه الأزمة وازدادت سوءًا مع ظهور وباء كورونا، وتقول الأمم المتحدة: «وحتى قبل أن تظهر جائحة كورونا كان العالم يواجه معدلات غير مقبولة من سوء التغذية والتقزُّم لدى الأطفال».

إن تعطُّل الأولياء عن العمل وغلق العديد من المؤسسات وإجراءات الحجر الصحي، قلصت أو صعبت من الحصول على موارد مالية؛ الشيء الذي أدى إلى ازدياد الفقر وتدني مستوى المعيشة لدى الملايين من الأسر، وقد أدى ذلك إلى تراجع ملحوظ في تغذية الأطفال نوعًا وكمًا.

وحسب منظمة اليونيسف، «فإن ٣١٠ ملايين – وهو نصف عدد الأطفال المتمدرسين في العالم – كانوا يحصلون على التغذية اليومية من المطاعم المدرسية»، إن سوء التغذية لدى الأطفال يتسبب في ظهور العديد من الأمراض، منها نقص المناعة ونحافة الجسم والحساسية. ويقول المدير العام لمنظمة التغذية والزراعة كيو دونغيو: «يمكن للمواطنين الذين يتمتعون بتغذية جيدة في البلدان الغنية أن يتحملوا شهرين دون بعض المنتجات الطازَجة أو المستوردة، لكن في العالم النامي سيتعرض طفل من سوء التغذية في سن مبكرة إلى التقزُّم مدى الحياة».

- الأثر الاجتماعي:

إن الإجراءات التي تم اتخاذها بغرض الوقاية من فيروس كورونا قد قلبت حياة الناس رأسًا على عقب، وأجبرتهم على تغيير الكثير من سلوكياتهم اليومية والتخلي عن جملة من العادات الاجتماعية المألوفة، وكان لهذا التخلي عن بعض العادات الاجتماعية أثره الملحوظ على حياة الأطفال النفس اجتماعية؛ فالطفل الذي كان يقضي أوقاتًا طويلة مع زملائه في المدرسة أجبرته الظروف الصحية على الانقطاع عنهم؛ خاصة أن بعض الأطفال لديهم ارتباط وثيق وعلاقة وطيدة فيما بينهم وافتراقهم شكَّل فراغًا ملحوظًا في حياتهم اليومية، كما أن القيود الوقائية أجبرت الأطفال على عدم الخروج من منازلهم والانقطاع عن اللعب والاحتكاك بأصدقاء الحي وتراجع الزيارات بين الأقارب والتزام التباعد الاجتماعي، وكلها سلوكيات اجتماعية جديدة وغير مألوفة لدى الأطفال أجبرتهم الإجراءات الوقائية لجائحة كورونا على الالتزام والتقيُّد بتطبيقها، وهذا ما خلق حرجًا وقلقًا حقيقيًا وصعوبة كبيرة في التقيد والالتزام بتطبيقها.

إن المداعبة والاحتكاك الجسدي بين الأم أو الأب وبين أطفالهما لا سيما خلال السنوات الأولى من العمر، له فوائد نفسية واجتماعية إيجابية ومن العوامل المساهمة في النمو الطبيعي والسليم للطفل، لكن تفاديًا لانتقال العدوى من الراشدين إلى الأطفال فإن العديد منهم حُرم من هذا التواصل والاحتكاك المباشر والمداعبة الجسدية، وهذا قد يترك آثارًا سلبية على حياة الأطفال على المدى البعيد، وقد ناشدت اليونيسف بضرورة تقديم الدعم والإرشاد النفسي للأطفال وأسرهم للتخفيف من آثارها النفس اجتماعية.

- توصيات:

– على الأسرة أن تلتزم بالإرشادات والتوجيهات الموجهة من قِبل الهيئات الرسمية في التعامل مع الأطفال؛ وخاصة عدم إظهار التوتر والانفعال المفرط في حالة مرض أو وفاة أحد أفراد الأسرة.

– ضرورة التواصل مع الأطفال وتقديم الشروحات الموضوعية وبطريقة يفهمها الأطفال؛ لتجنب التوتر النفسي والانفعالي لديهم.

– مساعدة الأطفال ومرافقيهم في المطالعة ومتابعة دروسهم التعليمية من خلال الوسائل التعليمية المختلفة (التلفزيون، الراديو، والإنترنت)، مع توفير الجو المناسب لذلك.

– الاطِّلاع على الخصائص الأولية للـفيروس من قِبل الراشدين حتى يحسنوا التعامل مع الأطفال؛ خاصة وأن الدراسات تقر بأن الـفيروس لا يشكل خطورة كبيرة على الأطفال.

– الاجتهاد قدر المستطاع في توفير الغذاء المتوازن للأطفال؛ لتجنب الأمراض الناجمة عن سوء التغذية.

– الإسراع في الاتصال بالإخصائي النفساني أو الاجتماعي في حال ظهور أعراض مرضية وسلوكية غير عادية لدى الطفل؛ حتى لا تتطور الوضعية وتتعقد ويصعب معالجتها مع مرور الوقت.

– تعويد الأطفال على التعايش مع الـفيروس وإقناعهم بأنه مرض كباقي الأمراض، ويجب التقيد بإجراءات الوقاية المعمول بها.

الضغوط النفسية لوباء كورونا على الأطفال

د. أحمد أوزي

أستاذ فخري في علم النفس والتربية – جامعة محمد الخامس – المغرب

يهتم علم النفس الصحيّ بالجوانب الوقائية لصحة الأفراد والجماعات، والكشف عن الأمراض قبل حدوثها أو استفحالها، عن طريق التحقُّق وتحديد حالات الخطر، ووضع تدابير التدخل السريع، والعمل على تقليل الآثار المحتملة. لذلك كان لأطباء الأطفال والأطباء النفسانيِّين للأطفال وغيرهم، ممن يهتم برعاية الأطفال، دورٌ كبير في التفاعل مع الأوضاع الصحية التي يعيشها الأطفال منذ ظهور وباء كورونا، الذي قلب أسلوب الحياة والعمل والدراسة رأسًا على عقب؛ مما له تأثير كبير على الحياة النفسية والاجتماعية، ليس للراشدين فحسب، وإنما للأطفال أيضًا. ومن هنا تُطرح جملة من التساؤلات التي تحاول الوقوف على بعض الأخطار النفسية التي سبَّبها الحَجْر الصحي للأطفال؛ وكذا ما يُشاع خلال تفشي أزمة وباء كورونا، من أوصاف ونعوت سلبية حول مُسبِّباتها.

فالجائحة كان لها صدًى كبير عَوْلَمتهُ بتأثيرها على مختلف مناطق العالم:

أ. ما الاضطرابات المحتملة لدى الأطفال خلال فترة انتشار وباء كورونا؟

ب. ما مشاعر الإحباط لدى الأطفال وما أوجه التسامح حولها؟

ج. ما مشاعر الأطفال بسبب التباعد وعدم التفاعل الاجتماعي؟

د. ما مخاوف الأطفال خلال فترة انتشار وباء كورونا وكيف يعبرون عنها؟

هـ. هل يعبِّر الأطفال عن القلق بشأن صحتهم العامة وصحة أفراد أسرتهم؟

أولًا: حاجة الطفل إلى وسط أسري يؤمِّن نموه وتطوره

يعتبر المناخ النفسي وطبيعة العلاقات والتفاعلات النفسية والاجتماعية، التي تسود بين أفراد الأسرة، من العوامل الأساسية التي تطبع سلوك الطفل وتوجه حياته في المستقبل؛ لما لذلك من تأثير، على جوانب شخصيته: الجسمية والعقلية والوجدانية. فالأسرة تحقق للطفل إشباع الحاجات التي تساعد على النمو وتفتح الشخصية وتحقيق التوازن العاطفي. ولعل إحساس الطفل بالأمن الذي يترجمه الحب والقبول والاستقرار، يعد ركيزة أساسية على صعيد النمو المتكامل لشخصيته، كما بينت ذلك أبحاث أنَّا فرويد (A. Freud) إبَّان الحرب العالمية.

ومن هنا، فإن الأطفال يحتاجون إلى محيط أسري آمن يضمن لهم الأمن والاستقرار الذي يجنبهم التعرض للأزمات النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، التي يمكن أن تؤدي إلى الاضطراب في العلاقات بينهم وبين أفراد محيطهم. فالعلاقات الأسرية محورية في بناء الصحة النفسية، والكفاءة الكلية للشخصية. لذلك كان دور الأسرة في صلب التنشئة الاجتماعية التي تضمن إعداد الطفل وتكوينه

للمستقبل لمجابهة تحدياته.

ومن غير شك، أن الأمراض والأوبئة المُعديَة التي تنتشر في البيئة التي يعيش فيها الأطفال وينمون، تُحدِث الاضطراب، الذي يقود إلى زعزعة الثقة لديهم، وعدم الشعور بالأمن والأمان الضروريين لحياتهم ووجودهم ورفاههم. وبشكلٍ عام، فإن الاضطرابات التي تؤثر على أفراد الأسرة والعلاقات الاجتماعية، ومختلف جوانب الحياة اليومية، لها انعكاس سلبي على حياة الأطفال وصحتهم العامة.

ثانيًا: الانعكاسات النفسية للحجر الصحي على الأطفال

إن الحجر الصحي، الذي أجبر العمل أن يتم عن بُعد؛ وكذلك التعليم عن بعد، والتزام جميع أفراد الأسرة البيت، أحدث اضطرابًا في العادات اليومية المتبعة في الوسط الأسري؛ وخاصة تلك التي تتعلق بالعلاقات بين الآباء والأبناء.

الاضطراب بين أفراد الأسرة بسبب الجائحة انعكس سلباً على حياة الأطفال وصحتهم العامة

إن إجراءات الاحتراز التي اتخذتها أقطار المعمورة، خلال تفشي وباء كورونا، أدت إلى تغيير نمط حياة الأطفال وذويهم، وتغيير إيقاع الحياة التي تعودوا عليها، بعد إغلاق المدارس وتوقف العمل في المنظمات والمصانع المختلفة، وخضوع الجميع للحجر الصحي، وملازمة كل أفراد الأسرة للمنزل قسرًا، وهو عامل سبَّب ضغوطًا وحساسية نفسية إضافية للآباء والأمهات، ولكل مقدمي الرعاية للأطفال بشكل عام. فهم جميعًا مطالبون بإعادة ترتيب جديد للاهتمام بالأطفال ورعايتهم، وعدم التخلي عنهم في ظروف هم في أمَسِّ الحاجة إليهم؛ بسبب عدم إدراك الأطفال وفهمهم لواقع ما حدث. كما أنه انتُزعت منهم متعة الحياة المدرسية، ولقاء أقرانهم، ومُنعوا حتى من السفر أو الخروج إلى المتنزهات التي تعودوا على المرح والاستجمام في فضائها الطبيعي. ومما زاد الطين بلّةً، أنهم يسمعون مختلف النعوت والأوصاف السلبية التي انتشرت عن الوباء؛ مما عرضهم إلى المزيد من الشعور بالخوف والضيق النفسي، وعدم إشباع الحاجة إلى اللعب مع الأقران والخروج إلى الطبيعة لممارسة أنشطتهم المفضلة. وهذا الأمر قاد إلى الاضطراب الناجم عن العزل القسري وغموض آفاق المستقبل؛ مما خلق التوتر والقلق النفسي المتفاقم الذي انعكس على شخصيتهم .

إن تأثير الفيروس التاجي (Covid-19) لم يقتصر على أطفال وأُسَر قطر معين، وإنما امتد أثره ليشمل جميع أقطار المعمور. وأدى الغموض الذي أحاط به إلى طمس رؤية وضبابية طبيعته؛ الشيء الذي نشَّط العديد من الشائعات حوله، وأفرز العديد من المعلومات التي لا أساس لها من الصحة. إذ تحكم أغلبها التناقضات التي تغيب معها الدقة والموضوعية.

لقد واجهت العديد من الأسر، التي تشكل محيط عيش الأطفال وتؤمِّن وجودهم، العديد من التغيرات، بفعل عوامل مختلفة، ترجع إلى توقف الأنشطة الاقتصادية وإصابتها بالشلل؛ مما كان له بالغ الأثر على انخفاض الدخل المادي للأسرة أو غيابه بالمرة، بالنسبة إلى الأسر الفقيرة. وأثر ذلك على حرمانها وحرمان أبنائها من تلبية حاجاتهم الأساسية.

ومن الانعكاسات الأخرى للوباء الواسعة المدى على الأطفال، توقُّف المدارس وإقفال أبوابها في وجههم. فالمدرسة لم تعُد المدرسة، وأضحى التعليم يتم في البيت، واللجوء إليه يحتاج إلى مُقوِّمات أساسية، قد لا تتوافر للعديد من الأسر. فحسب إحصاءات اليونيسكو، فإن ١,٦ مليار تلميذ في ١٩٠ بلدًا في العالم قد تأثر بالحرمان من التمدرُس. من بينهم ٩٠٪ من الأطفال، وهو ما يمكن أن يشكل بدوره عاملًا من عوامل القلق، الذي ينتاب الأطفال الذين يرون بأن حياتهم اليومية المعتادة اضطربت بشكلٍ كُلِّي.

لقد ناقش عشرات الأطباء عواقب السياق الحالي لوباء كورونا في العالم، لا سيما في علاقته باضطرابات القلق الذي ارتفعت حدته. ويمكن أن يُولِّد أعراضًا سريرية معينة، تختلف وفقًا لسن الأطفال. إنه يمكن لبعض الأطفال القيام بالنكوص من خلال سلوكهم وتصرفاتهم، كوسيلة من وسائل التكيُّف، والعودة إلى مرحلة النمو التي كانوا يشعرون فيها بالأمن. لقد تسبَّب لهم الحَجْر الصحي

في اضطرابات لم يستطيعوا التكيف معها والتغلب عليها. هذا هو الحال بالنسبة إلى الأطفال الذين تتبَّعهم علماء النفس أو المعالجون النفسيون أو معالجو النطق أو الأطباء النفسانيون للأطفال. وقد صرح أحدهم قائلًا: «منذ بداية هذا الوباء، أصبحت الاستشارات أكثر فأكثر مرتبطة باضطرابات القلق. لا يشكل القلق عادةً اضطرابًا مزعجًا، ولكن في هذه الفترة، أصبح يحتل الدرجة الأولى. نحن نتعامل مع أطفال يتغلب عليهم القلق. يعاني البعض منهم صعوبةً في النوم، ومع ذلك، عندما لا ينام الطفل، لا تنام الأسرة بأكملها! ويضيف الطبيب نفسه: إن نهاية الوباء لن تعني نهاية التأثير النفسي للحجر الصحي. جميع الدراسات التي قامت بتقييم الحالة النفسية

اليونسكو: ١,٦ مليار تلميذ في ١٩ دولة حرموا من التمدرس

للأطفال في أوقات الكوارث، سواء أكانت كوارث طبيعية أم حروبًا، أجمعت على معاناة الأطفال: إنهم يعانون مثل الكبار، باستثناء أنهم أكثر قدرةً على إخفاء مظاهر القلق. هذا، وإن قلق الأطفال يزيد من قلق الوالدين، والعكس صحيح. لذا فهي حلقة مفرغة يمكن أن تحدث بسرعة كبيرة؛ مما يؤدي إلى «وباء القلق».

الخلاصة أن الحجر الصحي الممتد لفترات طويلة، جعل الأطفال يخضعون لضغوط شديدة، وأصبحوا ذوي حساسية انفعالية، ويُظهرون سلوكًا عدوانيًا، ونوباتِ بكاءٍ غير مُبررة الأسباب، ويظهرون الحزن، ويطورون اضطرابات النوم، وتنتابهم كوابيس خلاله.

ثالثًا: مشكلات الأطفال ومعاناتهم خلال استخدام التعلم الإلكتروني

أما اللجوء إلى صنف التعليم الجديد، وهو التعليم عن بُعد لتعويض التعليم الحضوري، فإنه أفرز مشكلاتٍ كثيرة. منها ما يتعلق بالخصوص بالقصور في المهارات المرتبطة باستخدام الرَّقْمَنَة.

إن انتقال نمط التعليم بشكلٍ فجائي من التعليم النظامي الحضوري إلى التعليم عن بعد، أحدث بلبلة واضطرابًا كبيرًا لدى كل الفاعلين التربويين: أساتذة، وطلاب، وآباء التلاميذ، على حد سواء، فقد فاجأ اللجوء إلى هذا الصنف من التعليم الجميع. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب نشير في الآتي إلى أهمها:

أ. ضعف الإمكانات المادية لبعض الأسر يحول دون الاستفادة من الفرص المتاحة في التعليم الإلكتروني، فالأطفال كلهم لا يتوفَّرون على حاسوب شخصي؛ مما يجعل البعض منهم يلجأ إلى استخدام هاتف أحد الأبوين أو الإخوة. فقد أشارت إحصائيات اليونيسكو أن ٩٥٪ من الأطفال في النرويج يملك كل واحد منهم حاسوبه الخاص، في حين تنخفض هذه النسبة لتصل إلى ٥٪ في إندونيسيا. كما أن تعدد الأطفال في الأسر العربية يعوق الحصول على التعليم عن بعد؛ لاحتياج كل طفل إلى جهازه الخاص، وصعوبة استخدام حاسوب

واحد - إذا وُجِد - من قِبل كل الإخوة والأخوات في الأسرة.

ب. عدم الارتباط بشبكة الإنترنت بالنسبة إلى العديد من الأسر، سواء في الحواضر أم البوادي بشكل خاص؛ إذ غدا الحق في التعليم يرتبط بالحصول على الإنترنت؛ وهو أمر يتعذر على نحو ٤٠٪ من الأسر في بلد مثل المغرب مثلًا.

ج. عدم تعوُّد نسبة كبيرة من الأطفال على توظيف التقانة الرقمية وعدم الإلمام بمهاراتها؛ مما يجعلهم لا يستطيعون متابعة التعليم عن بعد والاستفادة من فرص التعليم الإلكتروني.

د. تفشي الأُمِّية الأبجدية والأمية الرقمية في صفوف العديد من الآباء. إذ لا تزال نسبة الأمية مرتفعة في صفوف العديد من الساكنة في الأقطار العربية، كما تؤكد ذلك الإحصائيات المتداولة ؛ مما يجعل نسبة مهمة من الآباء والأمهات لا يستطيعون مساعدة أبنائهم في التعلُّم، سواء للقصور الذي يعانون منه بسبب جهل القراءة والكتابة، أم الجهل والقصور في المهارات الرقمية.

التعليم عن بعد واجه تحديات ومشكلات عدة منها قصور المهارات المرتبطة بالرقمنة

كما أن نسبة مهمة من الآباء الذين يُتقنون القراءة والكتابة، يعجزون عن مساعدة أبنائهم في تعلُّماتهم؛ بسبب تغير المناهج التعليمية وعدم إلمامهم بالمُستجدّ منها.

رابعًا: كيف نساعد الأطفال على فهم وباء كورونا وتجنب شدة الخوف

أ. يجب على الآباء أن يشرحوا لأبنائهم الوضع الحالي الذي يعيشه العالم دون الإفراط في التفاصيل، وجعل شروحهم تتفق مع مستوى إدراك الأطفال وفهمهم، وتجنب المواقف المثيرة للقلق؛

ب. ينبغي طمأنة الطفل، وإقناعه بأن هناك من الأطباء والممرضين والعلماء في مناطق مختلفة من أنحاء العالم يكدُّون لإبقائنا بصحة وأمان؛

ج. ينبغي القيام بإحداث التغيير في الوقت اليومي حتى لا يشعر الطفل بالروتين، ونخطط معه لإنجاز أنشطة تتفق وقدراته، وتلبي ميوله واحتياجاته دون إجهاده؛

د. حاور الطفل واسأله عما يعرفه عما يحدث، وتدخَّل بلطف لتصحيح المعلومات الخطأ حول هذا الوباء؛

هـ. ينبغي الالتزام بالصدق وتأكيد أنه من غير المحتمل أن يصاب بالمرض، ولكن من المهم القيام بدور مهم لحماية نفسه وأسرته؛

و. عوِّد طفلك على الإعلام الجيد ومصادر المعلومات المناسبة له، وشاركه في مشاهدة الأخبار؛

ز. الطفل قوي الملاحظة، ويستوعب تعابير المحيطين به ويفهم عواطفهم، وينبغي مساعدته على فهم مشاعره حول الوباء؛

ح. ابحث عن الطرائق المبتكرة لتعزيز وتقوية الروابط في العائلة ومع الأصدقاء والجيران؛

ط. تحدَّث إلى طفلك حول أهمية دعم وشكر أولئك الذين هم في الخطوط الأمامية لنظام الرعاية الصحية، الذين يواصلون الخدمات العامة.

رغم الأضرار والمخاطر التي تسبَّب فيها وباء كورونا، فإن البعض يرى أن هذا الوباء حسَّس الناس بأهمية العلم والمعرفة، والشعور بأهمية المهارات التكنولوجية. كما أنه أفرز احتياجاتٍ كثيرةً في مجال التعليم، رغم أنه كان مصدرًا للإحباط والقلق، وتفاقُم السلوك النمطي، وجعل الأطفال يعيشون في بيئة تثير القلق الشديد، المرتبط بانتشار وباء كورونا والحجر الصحي، الذي سبَّب للأطفال معاناة، وتغيرات سلوكية وعاطفية؛ بسبب امتداده لفتراتٍ طويلة، وأدى إلى انقلاب معالمهم، ووتيرة حياتهم بشكل خاص، رأسًا على عقب؛ مما جعل بعضهم يعرف نكوصًا في سلوكه وتصرفاته، والعودة إلى مرحلة نمائية سابقة كان يشعر فيها بالأمن والأمان.

إلا أن فترة الحجر الصحي مع ذلك، مكَّنت العديد من الآباء والأمهات من اكتشاف أطفالهم وإمكاناتهم ومواهبهم في مجالات غير متوقعة. كما أن حضور الأبوين مع الأطفال في الأسرة ومكوث الجميع بالمنزل خلال الحجر الصحي، عمل على تغذية الأطفال عاطفيًا، وهو غذاء كان ينقص الكثير منهم ويُفقده الحوار البنَّاء.

التثقيف الصحي للطفل وجائحة كورونا

خلف أحمد محمود أبوزيد

كاتب – مصر

دأبت معظم الدول المتحضرة على العناية بالثقافة الصحية للطفل، بنشر الوعي الصحي الذي يوفر الجو المناسب للنمو البدني والعقلي والاجتماعي للأطفال، الذي يحقق لهم النموَّ المتكامل بتكوين عاداتٍ وأنماطٍ من السلوك تساعدهم على الوقاية من الأمراض؛ بهدف بناء أمة قوية وجيل متين البنيان، إذ تبدأ بالعناية بالأطفال منذ نعومة أظفارهم فتخصص برامج خاصة لرعاية الطفولة تضمن النمو السليم للطفل قبل دخوله المدرسة، ثم تواصل برنامج الصحة المدرسية في رعاية هذا الطفل منذ دخوله المدرسة، وحتى تخرُّجه عضوًا عاملًا ونافعًا لأمته.

ومع انتشار فيروس كورونا المستجد، بات من المهم بل ومن الضروري الاهتمام بالثقافة الصحية للأطفال بنشر الوعي الصحي بينهم خاصة لدى طفل ما قبل المدرسة، أو من هم في السنوات التعليمية الأولى ممن تنقصهم المعرفة العلمية بخطورة انتشار الأمراض والـفيروسات؛ خاصة فيروس كورونا المستجد ويعتمدون على الوالدين في فهم أخطار هذا الـفيروس وكيفية الوقاية منه، ثم المؤسسات التعليمية بالنسبة إلى الأطفال الأكبر سنًا؛ الأمر الذي يجعل من عملية التثقيف الصحي للطفل عملًا ضروريًا يجب أن تتضافر من خلاله جهود الأسرة مع المدرسة.

أهمية التثقيف الصحي للطفل:

للثقافة الصحية أهمية كبيرة للطفل، وذلك على النحو التالي:

١- أنها تساعدهم على بناء المعرفة والمهارات والسلوكيات الصحية الإيجابية، التي تحقق الوسط المناسب للنمو البدني والعقلي والانفعالي والاجتماعي للطفل بما يحقق له نموًا متكاملًا.

٢- مساعدة الطفل على تكوين عادات وسلوكيات واتجاهات وأنماط سلوك تساعد على الصحة والوقاية من الأمراض.

٣- التوعية بتقديم معلومات أساسية عن أسباب الأمراض والوقاية منها، بتوفير

الخدمات الصحية والعلاجية والوقائية.

٤- تشجيع الأطفال على تعزيز صحتهم بتبني السلوكيات الصحية السليمة، وتجنب العادات والسلوكيات غير الصحية وكل ما يضر بصحتهم وحياتهم.

الأسرة والتثقيف الصحي للطفل:

بدايةً نؤكد على حقيقة مهمَّة، وهي إن كنا نشكو من أضرار جائحة كورونا على أوجه الحياة بشكل عام، فإننا نجد لها مردودًا إيجابيًا على الحياة الأسرية والعائلية؛ خاصة الآباء والأمهات الذين ليس لديهم الوقت الكافي للجلوس مع أطفالهم، بدعوى انشغالهم عنهم خارج المنزل، فيمكن للوالدين استثمار هذا الوقت في غرس العديد من القيَم والعادات الصحية السليمة للأطفال، الذين هم في المراحل الأولى من أعمارهم؛ حيث أن دور الأسرة هنا محوري في تعزيز أوجه التوعية الصحية في نفوس الأبناء، حتى تصبح ثقافة أصيلة لدى الطفل يمارسها بصفة أساسية في سلوكياته وتعاملاته اليومية، وذلك على النحو التالي:

للأسرة والمدرسة دوراً رئيسياً في التثقيف الصحي للطفل حول جائحة كورونا

أولًا: أن يكون الوالدان قدوة أمام أبنائهم في اتباع القواعد والآداب الصحية في حياتهما اليومية، من نظافة شخصية واتباع السلوكيات الصحية كتغطية الأنف أو الفم بمنديل عند السُّعال أو العُطاس لتجنب العدوى، وغير ذلك من سلوكيات وآداب صحية؛ فإن مثل هذه التصرفات من قِبل الوالدين يعد من أفضل الوسائل في تعليم الطفل الذي يقلد والديه في مثل هذه السلوكيات، فتصبح عادة راسخة في نفسه ينشأ ويشبُّ عليها.

ثانيًا: إرشاد الطفل بالحوار والسلوك العملي إلى السلوكيات الصحية؛ مثل غسل اليدين بالماء الدافئ والصابون قبل وبعد تناول الوجبات، تعقيم اليدين بعد اللعب وملامسة أي جسم غريب، عدم لمس عيونهم وأنوفهم وأفواههم، التخلص الصحيح من المناديل بعد استخدامها، مع لفت انتباه الطفل على أهمية عدم تبادل الأغراض الشخصية مع الآخرين، فيمكن للوالدين أن يعلما ذلك إلى أطفالهم بطريقة محببة مثلًا أثناء أغنية الحروف الأبجدية، أو مثلًا أن يداعب الوالدان الطفل فيقولان له: «يا إلهي! لقد لمست أنفي سأغسل يدي» إلى آخر ذلك، فإن مثل هذه السلوكيات الصحية مهمة للطفل يجب أن نغرسها مبكرًا

في نفسه حتى يشبَّ ويتربَّى عليها، ولا مانع من رصد مكافأة للطفل مثلًا عند غسل يديه بشكل منتظم، والإشادة بتصرفه هذا أمام إخوته ليكون قدوة لهم في هذا السلوك.

ثالثًا: تعريف الطفل بطريقة سهلة ومُيسَّرة أهمية الغذاء السليم في بناء جسمه صحيًا، وأن هذا الغذاء يوجد في الفاكهة والخضراوات والألبان، والتي يجب أن نتناولها في طعامنا بشكل يومي لأنها غنية بالعناصر التي تجعل أجسامنا قوية، وأن نقصها في الجسم يجعل الإنسان ضعيفًا عُرضة للإصابة بخطر الأمراض والفيروسات.

على الآباء تقديم معلومات عن فيرس كورونا المستجد دون تهويل أو تخويف ووفق سن الطفل

رابعًا: يتعين على الوالدين الجلوس مع الأبناء للتعرُّف عن أفكارهم ومعلوماتهم حول الأوبئة والأمراض وفقًا لفئتهم العمرية، حيث أن كثيرًا من الآباء يتعرضون للعديد من الأسئلة من أطفالهم حول مرض معين وليكُن على سبيل المثال فيروس كورونا المُستجدّ، حول أسبابه وأعراضه ومدى خطورته وكيفية الوقاية منه، وهي أسئلة تتطلب قدرًا من المعرفة الطبية من الوالدين بتقديم الإجابات المنطقية للطفل بعيدًا عن التهويل والتخويف، بحيث يكون الحديث معه بطريقة ودية قريبة من نفسه، تعتمد على توصيل المعلومة الصحيحة والملائمة للطفل وفقًا للمرحلة العمرية وفي الوقت الملائم؛ لأن أفضل مصدر يثق به الطفل في هذه المرحلة هو الوالدان.

المدرسة والتثقيف الصحي للطفل:

يقضي الأطفال جزءًا كبيرًا من حياتهم اليومية داخل المدرسة، التي تهيِّئ لهم فرصًا تربوية وتعليمية كبيرة للتعلُّم واكتساب المهارات التي تعدهم إعدادًا سليمًا للحياة، هذا الأمر الذي يوجِب علينا الاهتمام بالتربية الصحية للطفل داخل مؤسساتنا التعليمية؛ لما لها من أثر كبير على صحة الطفل ومناعته ونموِّه الجسدي والعقلي وتركيزه وتحصيله الدراسي، حيث تشير الدراسات إلى أن «الأطفال الذين شمل منهجهم التعليمي التثقيف الصحي كانت معدلاتهم في الحساب والقراءة أعلى من أقرانهم الذين لم يدخل التثقيف الصحي في تعليمهم»، كما أثبتت دراسة أخرى «وجود علاقة فردية تربط بين زيادة الاهتمام بصحة الطفل وتعزيزها، وزيادة معدلاته المدرسية ودرجاته في مختلف المواد، وتقدمه على غيره من زملائه وحضوره الدائم وقلة غياباته وزيادة قدراته الذهنية والعقلية»، وفي هذا دلالة ومؤشر واضح على أهمية دخول التثقيف الصحي ضمن مناهجنا المدرسية ونظامنا التعليمي، حيث أن دور المدرسة هنا يكمل دور الأسرة؛ خاصة في المراحل التعليمية الأولى التي نريد عبرها أن نبني قواعد الثقافة الصحية

السليمة في نفوس أطفالنا؛ خاصة مرحلة رياض الأطفال ثم الصفوف الأولى من مرحلة التعليم الابتدائي، وذلك على النحو الآتي:

مرحلة رياض الأطفال:

تمثل مرحلة رياض الأطفال خطوةً مهمةً في حياة الطفل؛ إذ تهيِّئ هذا الطفل للتعليم المدرسي وتنير نفسه نحو حب الاستطلاع والرغبة في الاستكشاف، ولا يتحقق هذا الهدف إلا بوجود معلمة متخصصة توجههم وتعلمهم وترعاهم في هذا الجانب، بتعليمهم أساسيات النظافة الشخصية والعادات الصحية وغير الصحية عند تناول الطعام، فيمكن لمعلمة رياض الأطفال أن توصل هذه السلوكيات للطفل بطرق وأساليب مبتكرة ومتعددة؛ مثل استخدام الألعاب والدُّمَى كمسرح العرائس أو خيال الظل أو الغناء أو التمثيل، الذي يساعدها في توضيح ما تريد أن تعلمه للطفل في هذه المرحلة من ثقافة صحية؛ وخاصة

التثقيف الصحي يجب أن يكون جزءًا من المناهج الدراسية

ونحن نتعرض لجائحة كورونا وما يلزم مواجهتها بإجراءات صحية ووقائية، فيمكن لمعلمة رياض الأطفال عبر هذه الوسائل أن تعرِّف الطفل كيفية ارتداء الكمامات وأهميتها في الوقاية من خطر الڤيروس، وكيفية التخلص من المناديل وضرورة التباعُد الاجتماعي خلال هذه الجائحة وأهمية غسل اليدين وتعقيمهما عند ملامسة الآخرين، إلى آخر ذلك من إجراءات احترازية يحسُن عرضها عبر هذه الوسائل بطريقة محببة للطفل، بما يتناسب مع طبيعته العمرية في هذه المرحلة.

مرحلة التعليم الابتدائي:

أما بالنسبة إلى المرحلة الابتدائية بصفة عامة والصفوف الأولى منها بصفة خاصة، فدور المعلم فيها محوري وأساسي مثل دور معلمة رياض الأطفال، فهو يعايش الطفل لوقتٍ كبيرٍ داخل حجرة الدراسة، وخلال هذه الفترة الطويلة التي يقضيها مع الأطفال يستطيع أن يوجه أنظارهم للسلوك الصحي السليم باتباعه هو أولًا للإجراءات الصحية، من ارتداء الكمامات والحرص على النظافة بشتى صورها، إلى آخر ذلك من سلوكيات

صحية يمكن أن يقدمها للأطفال بطريقة غير مباشرة؛ مثل الحوار وسرد الحكايات والغناء والتمثيل أو أي أسلوب تربوي آخر يُسهم في غرس السلوكيات الصحية في نفس الطفل، بدون توجيه مباشر من المعلم، ثم يأتي بعد ذلك دور المناهج الدراسية التي تقدم للطفل، والتي يجب أن تتوافر فيها جوانب تحثُّ على التثقيف الصحي والتربية الصحية السليمة للأطفال، وأن يكون ذلك من الصفوف الأولى بحيث يُعطى الطفل جرعات صحية للسلوك الصحي السليم، وكيفية مواجهة المشكلات الصحية ومُسبِّبات الأمراض وخطر الڤيروسات والعدوى وطرق الوقاية، وأهمية الغذاء السليم والبعد عن الأطعمة والأغذية غير الصحية، إلى آخر ذلك من معلومات طبية وصحية يراعى من خلالها التدرج بما يناسب كل صف دراسي وعقلية الطفل. ثم يأتي دور المدرسة التي تكمل دور المناهج الدراسية من خلال مدرسة نظيفة وجميلة، تحرص على تقديم أُطُر متعددة ومتنوعة للثقافة الصحية للأطفال، بإعداد إخصائيين مثل الإخصائي الاجتماعي والنفسي والزائرة الصحية، بتزويد التلاميذ بالمعلومات الصحية الضرورية عن خطر الڤيروسات؛ خاصة ڤيروس كورونا بعقد الندوات التثقيفية للأطفال، ولا مانع من حضور الأهل لهذه الندوات حتى يقربوا الصورة من ذهن الطفل في المنزل، مع وضع برامج للإسعافات الأوَّلية وإرشادات ولافتات للإجراءات الاحترازية المتبعة بالصور ونشرها في أماكن بارزة بالمدرسة، كما يجب على المدرسة ألَّا تهمل بعض العوامل الأخرى والتي من أهمها ما يتعلق بالمقصف المدرسي وما يقدمه من وجبات وأطعمة للأطفال، والذي يجب أن يتم وضع قواعد سليمة له وسياسة صحية متكاملة من قِبَل إدارة المدرسة، والتي يجب أن تدعم من قبل الأهالي والمعلمين.

الحظر: مهارات اتصال جديدة بين الآباء والأبناء

د. نادية النشار

إعلامية وكاتبة – مصر

العديد من استطلاعات الرأي، والأبحاث العلمية تتركز الآن لقياس أثر البقاء لفترات أطول داخل المنزل، سواء لأنماط الحياة الجديدة وتطور مفاهيم العمل من المنزل، والعمل عن بعد، أم بسبب ما شهده العالم من آثار كبيرة لجائحة كورونا؛ كذلك أجرت العديد من شركات التأمين، وشركات إنتاج المحتوى الرقمي وشركات تقديم الخدمات، الأبحاث للخروج بنتائج لاستمرار الخدمات وتطويرها.

أظهرت النتائج ازدياد الإحساس بالضغوط المنزلية لتتفوق على ضغوط العمل عند الآباء، ومضاعفة أعباء الأمهات؛ خاصة لمن لديهم أبناء تقل أعمارهم عن ١٨ عامًا.

التكيف مع أسلوب الحياة الجديد

بين الغضب، والنوم والأكل والانسحاب والانتقاد ومراقبة الآخرين واكتشاف الجديد في البيت وأهله، انغلقت أبواب الخروج، السفر، المدرسة، النادي، المقهى، المراكز التجارية، أماكن التدريب، الفنادق، قاعات الاجتماعات، التواجد الدائم في أماكن العمل لأهداف غير العمل.

فانفتحت أبواب الأفكار، واستثمار الأماكن داخل المكان الأصلي، داخل البيت، ليتحمل البيت الأعباء الإضافية بوجود أهله الدائمين فيه، ولم يعُد مكانًا للنوم وفقط، بل أصبح أصل الحياة ومركزها.

الحظر يفرض أوقاتًا أطول، فهل سيطوِّر أنماط التواصُل بين أفراد الأسرة، ويُفعِّل قوانين التربية؟

لقد بدأ هذا النمط الجديد من الحياة والعمل عن بُعد، ويبدو أنه سيستمر وربما تتغير أساليب الحياة تغييرًا جذريًا في السنوات القليلة القادمة.

سيتعاظم مفهوم العمل من المنزل ولن تغادره إلا إذا كنتَ مضطرًا، سيُضطر للنزول المُزارع، عامل البناء، مهندس الصيانة للأجهزة، بعض الأطباء، وبعضهم يستطيع العمل من المنزل.

فإذا كنت من هؤلاء الذين سيقضون مزيدًا من الوقت في المنزل، فهوِّن عليك، وخذ الأمر بمرونة تسمح لنا جميعًا بتفهُّم احتياجاتنا لمهارات جديدة وعلى رأسها مهارات الاتصال الأساسية؛ خاصة في أوقات الأزمات.

كلنا مسئول عن حال البيت، فليتحمل كل مسئول مسئولياته، ولنوزع بعض المهام قدر

المستطاع على الآخرين، نلتزم بجدول أعمال ومهمات مرن، تتوزع فيه الأدوار على أفراد الأسرة والاتفاق على أننا لسنا ضيوفًا على منازلنا، بل إننا أصحابها، مقيمون فيها، فلا أحد ينتظر خدمات من مضيف، كلنا مسئولون عن مهام المنزل، الذي نمضي فيه أوقاتنا ولا بد أن يتم ذلك بتفهُّم وصبر، فهما يحققان قوة التغيير الناعمة.

إن جلوسنا الطويل في بيوتنا ليس جلوسًا عقابيًا، بل يمكن أن يكون فرصة للتواصل وممارسة الهوايات والتصفيق لأحبائنا والقرب.

بعض الأسر أفرطت في التعرض لوسائل الإعلام فتضاعفت المخاوف والشكوك والجري وراء المعلومات، سواء آراء الخبراء أم المقربين أصحاب التجارب المباشرة، فازداد الإحباط، والبعض تابع المزيد من الدراما عبر المنصَّات الدرامية الجديدة مثل نت فليكس وغيرها، وحدثت قفزة في تنزيل الألعاب الإلكترونية، بعض البيوت غرق أفرادها في هَوَس التسوُّق عبر الإنترنت؛ فسيطرت الهموم المالية وعدم القدرة على إشباع الرغبات المتجددة.

أزمة الحظر لابد وأن نوجد منها فرصاً جيدة للتغيير

نمط الاتصال والقيَم الجديدة

لم يكن الوقتُ ووَفْرتُه مع الأبناء هو أهم أسباب نجاح التواصل معهم، لكن نمط الاتصال المتبع أهم من مقدار الوقت الذي نقضيه معًا.

الإدراك والوعي والمراقبة وخلق أدوار جديدة للتشارُك واللعب والمرح، واحترام مزاج الآباء والأبناء؛ لتحقيق مكاسب دائمة من الأزمات العابرة، رفع قيمة احترام حقوق الآخرين، وتوزيع المسئوليات والتعاون، والتفاعل الإيجابي، وخلق حوار بين أفراد الأسرة، واحترام أوقات الترفيه، كسر نمط الحياة المعتاد وتجهيز مفاجآت لطيفة والتشارك في إعداد الطعام، تطوير أنشطة تكامُلية وهوايات تتحول لاحتراف، وتعظيم فرص التغيير، تنظيم ألبومات الذكريات والتحدث عنها وعن الأوقات الجميلة، المشاركة في الرسم بالطباشير والألوان على حائط مُغطّى بالورق، القراءة ويمكن الاتفاق على الحكي والكتابة ثم المناقشات؛ سيفتح ذلك كله آفاقًا جديدة للعلاقات الأسرية، بل قد يعدل المعتقدات ويهدئ المشاعر، فالتدوين والحكي من مبادئ تنظيم عمليات الاتصال الذاتي ثم خلق حوار أفضل مع الآخرين، وكلها قيَم مهمة لا بد أن نغرسها في أنفسنا ونمارسها مع أبنائنا؛ لنخلق عاداتٍ جديدةً إيجابيةً لتواصُلٍ أقوى وأعمق.

آداب الاتصال والأزمات (هنا والآن)

إن للقرب مهاراتٍ لا يقدر عليها إلا من يملك قلبًا مُحبًا وعقلًا مستنيرًا، يُقدِّر ويعي ويحتوي، إدارة العلاقات مع الغرباء أسهل كثيرًا، ويمكن أن تكون سطحية ومقبولة، أما في علاقات المُقرَّبين فإنها مهارات وقيَم وآداب وفنون في التواصل، والتركيز والتغافل، والحسم والمرونة، تنوُّعات في معاملات اتصالية مستمرة ودائمة، الوعي بها يجعلها تنوُّعاتٍ سلسة، وتجاهلها قد يشعل النار من مُستصغَر الشَّرَر.

أوقات الأزمات ليست هي الأوقات المناسبة لِلَّوْم والعتاب على مشاكل الماضي، بل إن اهم ما يعنينا في الأزمات هو الآن في هذا المكان الذي يجمعنا، وهنا في المكان الذي نعيش فيه، مع مراعاة تجنب الحوارات التي ترسم خطوط المستقبل الدقيقة، أو ترسخ آلام الماضي.

في هذه الأوقات لا بد أن يسبق التعاطف طلب التوضيح والشرح، إظهار الفرح ومشاركة أوقاته، يمكننا أن نضحي الآن بتقدير السبب أو الاقتناع به، حين يمرحون ندعُهم يمرحون، يلعبون، فلم يعُد لديهم ما اعتادوا عليه، لقد عادوا للوراء؛ لكن بيوتنا العصرية لن تسمح بذلك، لا شارع، لا حديقة، لا جيران غالبًا، وإن وُجِدوا فإن التباعُد الجسدي فرض عاداتَ اتصالٍ جديدة.

وهنا قد تعلو قيم الترفيه والمشاركة على التعليم ونقل الخبرات، على أن نراعي أن أوقات التعليم ونقل الخبرات ضرورة، لكن بشروط توافر عوامل الجذب وإثارة الأسئلة وتحفيز رغبة الأبناء للمعرفة؛ كذلك من المفيد جدًا تحديد أوقات للتأمل ورؤية جوانب جديدة للأزمات؛ حتى نجعل منها فرصًا جيدة للتغيير، والتفكير قبل الدخول في علاقات مُقرّبة وعاطفية لصناعة مستقبلهم بأفكار معاصرة تناسب متغيراتٍ حتمية.

التعليم المدمج في زمن كورونا
هل نملك رفاهية الاختيار؟

د. شوق عبادة النكلاوي

مدرس أدب الطفل – كلية التربية للطفولة المبكرة – جامعة مطروح – مصر

هل نستطيع أن نقول: إن جائحة كورونا قد أثارت جدلًا واسعًا فيما يخص عملية التنشئة والتعلُّم؟ وهل بمقدورنا أن نؤكِّد أن القطار يجري بسرعةٍ فائقةٍ نحو التعليم المُدمَج؟ وهل صرنا نمتلك رفاهية الاختيار بين التعليم وجهًا لوجه بما يشتمل عليه من تفاعل حي بين المعلم والمتعلم - وهذا هو لُبُّ عملية التعلم وجوهرها - وبين التعلم عن بُعد عبر المنصات التعليمية الإلكترونية المتنوعة؟ أم أننا لم نعد نملك تلك الرفاهية فأصبحنا بين شقَّي رحى إما التعليم المدمج أو لا تعليم؟.

قد تبدو إجابات كل تلك الأسئلة سهلة ويسيرة لدى البعض ممن يرون أن عملية التعلم عن بعد ربما كانت أيسر وأسهل، أولئك الذين لا يدركون أن البنية التكنولوجية التحتية في مصر وبعض الدول العربية قد لا تساعد على تحقيق الهدف من تلك العملية على النحو المرجوِّ، والذين يعتقدون أننا بضغطةِ زرٍّ يمكن أن نصل إلى ملايين الأطفال من التلاميذ في منازلهم ناسين – أو متناسين – أن معظم المُستهدَفين من وراء ذلك لا يستطيعون مجرد الدخول إلى الشبكة العنكبوتية.

في ظل جائحة «كورونا» نجد أنه قد صار لزامًا علينا أن نعيد ترتيب أوراقنا للتفكير فيما كان يبدو أنه أمر عصيّ وبعيد المنال، وأن نبحث جميعًا، مؤسساتٍ وأفرادًا، عن آليات أخرى للتواصُل لتحقيق ذلك حتى نستطيع أن نكمل معًا طريق العلم والحياة؛ ففي ظل ما ينبغي علينا من تباعُد اجتماعي، لا يعني بالضرورة تباعدًا تواصُليًا، فقد أصبح من اللازم والحتمي أن نفكر في طريقة أخرى نستطيع من خلالها أن نصل إلى أطفالنا في منازلهم، مع الاحتفاظ للتجربة التفاعلية الحية بخصوصيتها ودفئها وحميميتها، عن طريق ذهابهم إلى مدارسهم لبعض الوقت؛ حتى لا يفتقدوا حرارة التفاعل الحي بينهم وبين مُعلِّميهم ومُربِّيهم.

من خلال الجمع بين الطريقتين – التواصُل الحي وجهًا لوجه والتعليم عن بُعد – نستطيع أن نجمع، كما يقولون، بين الحُسنَيَيْن؛ فنوفر لقاءات تواصلية مباشرة تحفظ للطفل ارتباطه

بمدرسته ومعلمه ومؤسسته التربوية، كما نضمن له في الوقت نفسه وسيلة ، قد تكون في الغالب ممتعة – لنوع آخر من التواصل، وقد ينتج عن المزج بين الآليَّتين تلافٍ لكثير من سلبيات الاعتماد فقط على التعليم عن بعد وحده أو التعليم الصفِّي داخل الفصل وحده.

إذا كان لنا أن نُقيِّم بعينٍ محايدةٍ ما حدث خلال الشهور الأولى للجائحة والأخيرة في الفصل الدراسي المنقضي، فإنه يمكننا أن نرجع بالزمن قليلًا لمناقشة بعض القضايا التي كانت تطرح نفسها باعتبارها أمورًا أساسية في التعليم المصري.

ولعل أهم قضية هي قضية ارتفاع الكثافة في الفصول الدراسية؛ الأمر الذي وصل إلى أرقام يصعُب التعامل معها داخل جدران فصل لا تزيد مساحته، في أحسن الأحوال- على أربعين مترًا يجلس فيه أحيانًا – لا سيما في عواصم المحافظات والمدن الكبرى – ما يصل إلى ثمانين طالبًا في المتوسط، وهو ما يجعل من عملية التعلُّم – خاصةً في الصفوف الأولى – مسألةً في غاية التعقيد لطرفيها: المعلم والمتعلم، وهذا أكبر تحدٍّ يواجه التعلم داخل الفصل الدراسي.

ومن خلال التجربة التي تم العمل عليها

وتنفيذها أثناء تفشي جائحة كورونا في معظم الفصل الدراسي الثاني، فإن التجربة بالاعتماد على التعلم عن بُعد وحده قد أنتجت عديدًا من السلبيات والآثار السيئة، لعل أهمها أنها قد أخلَّت بمبدأ جوهري وهو مبدأ تكافؤ الفرص؛ حيث ظهر الفارق الشاسع والتفاوت الطبقي الكبير بين أولئك الذين يمتلكون وسائل الرفاهية والتمكُّن من وسائل التواصل الاجتماعي وإحضار المعلمين إلى بيوتهم في بعض الأحيان، وأعني هنا النخبة الغنية القادرة على امتلاك كل ما أنتجته الثورة الصناعية الرابعة من وسائل وتقنيات، وبين أولئك البسطاء الفقراء الذين لا يمتلكون أبسط

«من رحم الأزمة تولد الانفراجة وتتاح الفرص وتتحول المحنة إلى منحة»

مُقوِّمات الحياة؛ وهو الأمر الذي يجعل التعلم عن بعد بالنسبة إليهم رفاهية لا يقدرون عليها ولا يسعون إليها بالأساس.

أما الآن وفي ظل استمرار الجائحة لفترة، قد تطول أو تقصُر، فإنه أصبح من الضروري الاعتماد على التعليم المُدمَج أو الهجين الذي يمزج بين الطريقتين؛ فمن خلاله نستطيع القضاء على أزمة ارتفاع الكثافة في الفصول الدراسية؛ حيث أصبح بمقدور الطلاب أن يقتسموا الأيام الدراسية فيذهب كل فريق منهم بعض الوقت على مدار الأسبوع، وهو أمر، بلا شك – يُحسِّن عملية التعلم ويجعلها أكثر جودة ويحتفظ للعملية التعليمية بتفاعلها الحي ويوفر بيئة مدرسية آمنة لكل أطراف العملية التعليمية؛ كما يمكننا أيضًا أن نطبق في الأيام الأخرى نظام التعلم عن بُعد، والذي يمكن من خلاله أن نقدم بدائل تعليمية تضمن استمرار العملية التعليمية، مع توجيه نظر القائمين على المؤسسات التعليمية وصناع القرار بتطوير البنية التحتية، واستخدام التكنولوجيا في التعليم وتوفير آليات للتواصل عن بعد، وإتاحة المناهج والمواد الدراسية عبر منصَّات التواصل ووسائل الإعلام المتنوعة، وتدريب المعلمين وتطوير مهاراتهم في التعليم عن بعد، وتوفير حواسب لوحية للطلاب وتفعيل دور الأسرة وتوعيتها بوصفها شريكًا في نقل عملية التعلم من المدرسة إلى البيت أو فيهما معًا على الأقل، وهو ما أشار إليه الأستاذ الدكتور طارق شوقي وزير التربية والتعليم المصري بقوله، إن التعليم المدمج صار أمرًا واقعًا وهو ما كانت الوزارة تسعى إليه في نظامها التعليمي الجديد، الذي يعتمد على دمج المناهج الدراسية بالمهارات الحياتية والمهن المستقبلية، فمن المؤكد أن الطفل الذي سينتهي من دراسته بعد عشر سنوات، على سبيل المثال، ربما لن يجد وظيفة من الوظائف المتاحة الآن، وهو ما يجعل الهدف من التعلم ليس مقصورًا على التعلم نفسه؛ إذ لم يعد الأمر ماذا تعلمنا؟.

بل ماذا نصنع بما تعلمناه؟ وهو نظام يعتمد على الوسائط الإلكترونية باعتبارها عاملًا مساعدًا ومكملًا لعملية التعلم، من خلال آلاف الموارد الرقمية والوسائط المتاحة على بنك المعرفة المصري والشراكة مع مؤسسة «ديسكفري إديوكيشن»، وهي مؤسسة رائدة في مجال المناهج الدراسية تقوم بتدريب المعلمين وتوفير الموارد لاستخدامها في عملية التعلم مجانًا.

على أنه بقي أن نشير إلى قضية من أخطر القضايا التي تواجه ذلك النظام وهي قضية بحاجة إلى معالجة جادة وسريعة، وهي الأطفال من ذوي الإعاقة وكيف يمكن أن نوفر لهم بدائل تقنية تتيح لهم الإفادة الحقيقية من عملية التعلم عن بُعد، تُمكِّنهم من المُضيّ قُدمًا في العملية التعليمية جنبًا إلى جنب مع إخوانهم من الأسوياء.

ولعلَّ من أكبر المؤسسات التي دائمًا ما تسبق الزمن المجلس العربي للطفولة والتنمية ، وهو مؤسسة رائدة من أكبر المؤسسات المَعنيَّة بالطفل العربي من المحيط إلى الخليج، والذي دائمًا ما يلفت النظر إلى هؤلاء الأطفال فيقيم الورشات والندوات التي تناقش التكنولوجيا المساندة لذوي الإعاقة والثورة الصناعية الرابعة ومواجهة الأزمات والكوارث وهذا جوهر ما نعيشه الآن؛ مما يجعله دائمًا يعيش في قلب الحدث ويتفاعل معه، واضعًا نُصْب عينيه حل مشكلات الطفل العربي ودفعه نحو الإبداع والحياة السوية، أينما كان وفي كل وقت.

في نهاية الأمر فإنه لم يبقَ إلا أن نقول: إن «كورونا – وإن كانت محنة كبيرة – ربما كانت جرس إنذار للأنظمة والمؤسسات التربوية العربية كي تعيد حساباتها وتعيد تقييم أدائها؛ حتى تستطيع أن تستخلص منها دروسًا تُعينها على مواجهة المجهول في قادم الأيام، وتُمكِّنها من العمل من أجل حياة تعليمية وتربوية أفضل للطفل العربي، فهل تتحول المحنة إلى منحة؟

التعليم عن بعد قد يكون رفاهية لمن لا يقدرون عليه

الاستغلال المُباح

بسمة ماهر محمد عبد العزيز

مُعلِّمة رياض أطفال – مصر

باعتباري معلمة رياض أطفال، فإن الأعباء المُلقاة عليَّ داخل القاعة كثيرة؛ خاصة مع هذه السن الصغيرة، التي من خصائصها الطاقة والحركة، فخطر ببالي فكرة، وهي استغلال تلك الطاقة لتكون إيجابيَّة، بدلًا من إهدارها بسلبية وتكون مصدر إزعاج.

فقمت بتوزيع المهام والمسئوليات عليهم ابتداءً من فترة الإفطار صباحًا، حيث قمت بتقسيمهم إلى فرَق وكل فريق مشغول بمسح طاولته وفرش مفارش الإفطار واستخراج علبة الغذاء وتناول وجبة الإفطار، ثم إلقاء المُخلَّفات في سلة المُهمَلات، ويتعاون كل فريق معًا لطَيّ مفرش الإفطار والذهاب لغسل أدوات الطعام في نظام؛ ومن ثَمَّ وضعها في حقيبتهم وترتيب المقاعد.

كما قمت بإسناد دور لكل فريق أثناء الأنشطة المختلفة، ففريق يوزع الألوان وفريق ينظف القاعة، وهكذا وهكذا لأجد أن اليوم تحوَّل إلى شعلةٍ من النشاط والاجتهاد، ويمر الوقت معهم في متعة ويُسر.

ومن هنا قمت بنشر تجربتي في اجتماع أولياء الأمور الذي يغلب عليه الشكوى من أبنائهم ومن وقت الفراغ؛ فاتفقت معهم على استغلال طاقة أطفالم في إسناد بعض المسئوليات والمهام المنزلية الصغيرة إليهم.

وبالفعل استجاب عددٌ لا بأس به من أولياء الأمور وكانت النتيجة إيجابيَّة جدًا،

وهذه بعض المهام المقترحة التي أبداها بعض أولياء الأمور:

– أن يرتب الطفل كل يوم دولابه وينظم حجرته وحده دون مساعدة.

– تلميع وتنظيف حامل الأحذية (المَجْزمَة).

– ملء زجاجات المياه من الفلتر يوميًا كل صباح.

– وضع طاولة الغذاء ورَصّ الأطباق وأدوات الطعام.

– تجهيز حقيبة المدرسة وعلبة غذائه وطعامه تحت إشراف والدته.

وكان عليَّ أن ألفت نظر أولياء الأمور إلى أنه لا بُدَّ أن تكون تلك المهام روتينًا يوميًا ممتعًا وعادةً للطفل، وليس تصرفًا عارضًا أو عقابًا لهم.

إن تلك المهام البسيطة والصغيرة مع الاستمرار لها مفعول السحر في تربية الأطفال، حيث تزرع في داخله تحمُّل المسئولية التدريجي؛ ومن ثَمَّ ومع التكرار يُتقنها وتصبح روتينًا وعادة في حياته.

إنها البذرة التي تجعل منه إنسانًا يتحمل المسئوليات والصعاب مستقبلًا؛ ومن ثم يكون فردًا ناضجًا إيجابيًا في مجتمعه وليس عالةً، قادرًا على خدمة نفسه بسهولة؛ ومن ثم خدمة مجتمعه والارتقاء به.

هكذا يكون الاستغلال مباحًا ومشروعًا.

في ليبيا:
بلدية سوق الجمعة - صديقة للطفل

آمال محمد الهنقاري

رئيس فريق حقوق الطفل بالبلدية، ورئيس منظمة آمالنا للإعلام والتنمية الشاملة – ليبيا

في بلدية سوق الجمعة مترامية الأطراف الكبيرة مساحةً وعددَ سكانٍ بدأت حكاية نجاح هذه البلدية، التي حرصت على العمل كفريقٍ واحدٍ بكل قطاعاتها، وحرصت أيَّما حرصٍ على الاهتمام بالأطفال وجعلهم من أول اهتماماتها، حيث أصدر عميدُها قرارًا رسميًا بتشكيلِ فريقٍ لحقوق الطفل من مجموعة من الخبراء والمهتمين في مجال حقوق الطفل، من الأشخاص المتطوعين الذين حرصوا على جعل نشر ثقافة حقوق الطفل والاهتمام بقضاياهم وتوفير مستلزماتهم، واقعًا مَعِيشًا على أرض الواقع في المدارس والمستشفيات والنوادي والحدائق والمرافق الأخرى كافةً، وامتد الاهتمام ليشمل البيوت أيضًا وذلك بالتواصُل مع الأسر.

فقد سعى الفريق منذ بدايته إلى إطلاق مبادرة استثمار مرافق المدارس وتحويلها إلى نوادٍ صيفية وفق برنامجٍ مُعدٍّ ومدروسٍ، شمل جميع المناشط الترفيهية واللغات والتنمية البشرية والعلوم والاختراعات والرياضة والسباحة والرحلات والزيارات وغيرها.

وقد وُضع للنوادي شعارٌ ونشيدٌ موحد.

وقد كانت هذه النوادي مُتنفَّسًا للأطفال؛ وخصوصًا في ظل هذه الظروف الاستثنائية التي تعيشها بلادنا.

وفي ظل استمرار الأزمة في بلادنا ارتأت منظمة اليونيسيف تعميم تجربة النوادي الصيفية في بلدياتٍ أخرى بالمنطقة الغربية (طرابلس)؛ لما تمثله من دعمٍ نفسي واجتماعي للأطفال، وقد كان للتعاون بين البلدية ومنظمات المجتمع المدني الأثر الطيب في نجاح برامجها واهتمامها بالأطفال.

من رَحِم الألم تأتي صرخة المولود معلنةً ولادته، ومن بين المعاناة والألم يأتي الأمل حاملًا في ثناياه قصة نجاح.

والذى شمل أيضًا برامج الرعاية الصحية الأوَّلية والبرامج الترفيهية والثقافية وتهيئة مساحات صديقة للطفل.

هذا غيضٌ من فيضٍ لما تقدمه هذه البلدية، التي تعتمد في عملها على الأسلوب العلميّ المبنيّ على دراسات وبيانات توضح الاحتياج.

كل هذا أسهم في اختيار بلدية سوق الجمعة كبلدية صديقة للطفل على مستوى ليبيا .

الجدير بالذكر أن التقييم الذي تم به اعتماد البلديات الفائزة قامت به لجنة خبراء محايدة شكَّلتها وزارة الحكم المحلي ومنظمة اليونيسيف، وحسب معايير دولية؛ ما يعني أن هذه النتائج هي دليل علمي وحقيقي على حجم العمل الذي قامت به البلديات الفائزة لتحسين مستوى حقوق وخدمات الطفل بها، رغم الظروف العصيبة التي تمرُّ بها كامل الدولة الليبية، ويؤكد لكل من لديه شك أن البلديات قادرة على الإنجاز والتميز.

سوق الجمعة تميزت وتفوقت في ٢٠١٩ في ثلاث مناسبات: «جائزة المعلم المتميز ٢٠١٩»، و«نتائج الشهادة الثانوية ٢٠١٩» و«جائزة البلدية الصديقة للطفل ٢٠١٩». يأتي هذا التتويج وهذا التميُّز بفضل العمل الجماعي بروح الفريق الواحد.

نشيد النادي

كلمات : آمال الهنقاري

نحن الأصدقاء يحدونا الأمل
حياتنا أخلاق نظام وعمل
للنادي أتينا نسابق الرياح
جميعنا التقينا نسعى صوب النجاح
حياتنا أخلاق نظامُ وعمل
للغد أبناء بالعلم ننتفع
وعند اللقاء نلعب ونطَّلِع

هذا يكتب هذي تمرح هذا يلعب
هذي ترسم بالألوان بالألوان
هذى تغني ذاك يسبح تلك تقرأ
هذا يزرع البستان البستان
نحن الأصدقاء جئنا من كل صوب
في موعد المساء تجمعنا الدروب
للنادي أتينا نسابق الرياح
جميعنا التقينا نسعى صوب النجاح
حياتنا أخلاق نظامُ وعمل

اصنعْ .. العبْ .. تعلَّمْ

يسعد مجلة «خطوة» أن تُقدِّم عبر صفحاتها هذا النشاط الذي يحمل عنوان: اصنعْ .. العبْ .. تعلَّمْ. حتى تستطيع كل أم/ أو معلمة أن تقوم بهذا النشاط – خطوة خطوة – مع الطفل، وتُتيح له فرص اللعب بأبسط الخامات وأقل الإمكانات الممكنة.

لعبــة من الألعاب الهندسية

سوسن رضوان
خبيرة الطفولة المبكرة – مصر

الخامات المستخدمة:

١. أوراق ملونة ذات أشكال هندسية متنوعة (مثلثات / مربعات / مستطيلات / دوائر).
٢. أوراق بيضاء.
٣. مادة لاصقة آمنة.

طريقة تفاعل الطفل مع اللعبة

– يقوم الأطفال بالتعرف على اسم كل شكل من الأشكال الهندسية المطروحة وكذلك لونها.
– يترك للأطفال حرية تصميم ما يحبون من أشكال مستخدمين الأشكال الهندسية المتنوعة وباستخدام المادة اللاصقة.

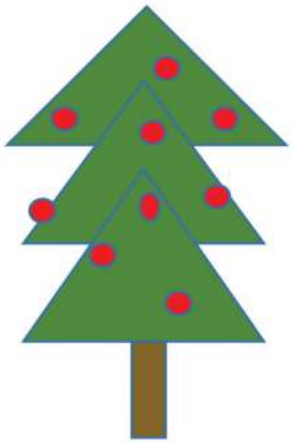

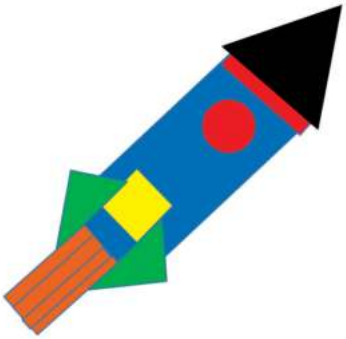

الفوائد التي تتحقق للطفل من خلال اللعبة

المهارات:

- التمكن من إدراك أسماء الأشكال الهندسية.
- التمكن من إدراك الألوان.
- تُكسب اللعبة الطفل مجموعة من المهارات الرياضية، مثل: (الفرز – التصنيف حسب اللون والحجم والشكل – الربط بين الأشياء – إكمال الشيء الناقص – الترتيب المنطقي للأشياء – الجزء والكل – التمييز بين الأشكال والأحجام والألوان – التسلسل – البحث عن الجزء المكمل – ينتمي ولا ينتمي – التعرف على الأشكال والألوان المتطابقة – التعرف على أكبر من / أصغر من / يساوي).

كما تنمي لدى الأطفال:

- دعم التآزر البصري الحركي.
- تقوية العضلات الصغرى.
- الانتباه والتركيز والتذكر.
- دعم الثقة بالذات، وذلك من خلال إنجازهم لعمل ناجح.
- تنمية روح التفاعل لدى الأطفال.
- التحفيز على الإبداع.
- التدريب على مبدأ التعلم الذاتي.
- اكتساب مهارة التفكير والبحث والاكتشاف والتتبع.
- تنمية قدرة الطفل على أن يصف ويفسر.
- دعم الحس الجمالي لدى الطفل.
- تنمية القدرة على الوصف والتعبير.

دور الميسرة أثناء تنفيذ النشاط:

- تقوم الميسرة بإعداد الأدوات اللازمة لتنفيذ النشاط في وقت مسبق.
- تطلب من الأطفال ذكر اسم كل شكل من الأشكال الهندسية التي أعدتها وكذلك لونه.
- تقوم بعمل نموذج مبسط باستخدام الأشكال الهندسية لتوضيح الفكرة.
- تشجع الميسرة كل طفل لتنفيذ فكرته واستكمال الشكل الذي يحبه.
- تقدم الميسرة المساعدة (بحدود) للأطفال كي ينجحوا في تنفيذ ما يدور بمخيلتهم.
- تشجع المعلمة الأطفال على التحدث والتعبير عن ما أنجزوه من أشكال.
- تقوم الميسرة بعرض أعمال الأطفال على اللوحة المخصصة لذلك.

تفادي ضياع جيل الكورونا
خطة النقاط الست للاستجابة والتعافي ووضع رؤية جديدة لعالم ما بعد الجائحة لكل طفل

عرض: مروة هاشم
مديرة تحرير مجلة خطوة

بعد ما يقرب من عام على بدء جائحة كوفيد -١٩، أصبح تأثير الفيروس على أطفال وشباب العالم أكثر وضوحًا، ليثير المزيد من القلق؛ إذ يواجه الأطفال تهديدًا ثلاثي المناحي: العواقب المباشرة للمرض ذاته، وانقطاع الخدمات الأساسية، وزيادة الفقر وعدم المساواة. وبمناسبة اليوم العالمي للطفل ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، أصدرت منظمة اليونيسف تقريرًا بعنوان: «تفادي ضياع جيل الكورونا: خطة النقاط الست للاستجابة والتعافي ووضع رؤية جديدة لعالم ما بعد الجائحة لكل طفل»؛ لتقييم الأثر العالمي لكوفيد -١٩ على الأطفال والشباب، واستعراض أحدث البيانات والبحوث المتاحة، إلى جانب حث العالم على اتخاذ خطوات جريئة وغير مسبوقة لوضع رؤية جديدة لمستقبل أفضل للأطفال.

على الرغم من أن الأطفال والشباب أقل تأثرًا من أي فئة عمرية أخرى، فإن البيانات الآخذة في الظهور تشير إلى أن صحة الأطفال والشباب قد تتأثر على نحوٍ مباشرٍ بكوفيد -١٩ أكثر مما كان متوقعًا في بدايات الأزمة أواخر عام ٢٠١٩. ويبين تحليل جديد لليونيسف لبيانات من ٨٧ بلدًا تتوافر فيها بيانات مُصنَّفة حسب الفئة العمرية، أن الأطفال والمراهقين يشكلون (حتى تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٠) نسبة ١١٪ من إصابات كوفيد -١٩ المُبلَّغ عنها في تلك البلدان.

يتضرر الأطفال من انقطاع الخدمات الأساسية؛ مثل التعليم والرعاية الصحية والتغذية وحماية الطفل. ويؤدي الركود الاقتصادي العالمي الحاد إلى إفقار الأطفال

الأطفال والمراهقون يشكلون نسبة ١١٪ من إصابات كوفيد - ١٩ حتى نوفمبر ٢٠٢٠

ويزيد من تفاقم أوجه عدم المساواة والاستبعاد العميقة والموجودة مسبقًا

مخاطر متزايدة

وفي مُستهلِّ التقرير، تحذر المديرة التنفيذية لليونيسف، هنرييتا فور، من أن هذه الأزمة العالمية التي نشهدها تؤثر علينا جميعًا ولن تكون الأخيرة، مشيرةً إلى أن الأطفال لم يتعرضوا إلى مثل هذا الخطر الكبير من قبل، والأسوأ من ذلك أن جائحة كوفيد -١٩ تتزامن مع تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية؛ ومن

ثَمَّ فإن المخاطر التي يتعرض إليها الأطفال آخذةٌ في الازدياد لا التناقص.

وقالت فور: «يجب أن نحمي ما استثمرناه لعقودٍ لصالح الأطفال، لا يتعلق الأمر بالعودة إلى ما كانت عليه الأمور قبل الجائحة. فلن يقبل الأطفال أبدًا العودة إلى الوضع الطبيعي السابق بعد انتهاء الجائحة؛ لأن الوضع الطبيعي لم يكن جيدًا بما فيه الكفاية».

الآثار الصحية لكوفيد -١٩ على الأطفال والشباب

يرى التقرير أن الآثار الصحية طويلة الأمد التي تترتب على إصابة الأطفال بكوفيد -١٩ لا تزال غير واضحة المعالم، غير أن أكبر الأخطار التي تهدد صحة الأطفال ناجمة عن الاضطرابات التي تصيب الخدمات الحيوية التي تحمي وتدعم الأطفال والشباب؛ نتيجة توجيه الجهود نحو احتواء الڤيروس. أحيانًا تؤدي التدابير الرامية للتصدي لكوفيد -١٩ إلى تأجيل تدخلات صحية مهمة جدًا للأطفال، مثل اللقاحات أو رعاية الأمهات والمواليد الجُدُد؛ مما يقوض التقدم المُحرَز في الوفيات والمراضة.

لن يقبل الأطفال أبداً العودة إلى «الوضع الطبيعي» السابق بعد انتهاء الجائحة؛ لأن «الوضع الطبيعي» لم يكن جيداً بما فيه الكفاية.

تضمَّن التقرير العديد من البيانات والأرقام المتعلقة بكيفية تأثير كوفيد -١٩ على الأطفال، وأبرزها أنه في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٠، كانت نسبة ١١٪ من ٢٥,٧ مليون إصابة بكوفيد -١٩ في ٨٧ بلدًا هي بين الأطفال والمراهقين دون سن العشرين، ومن بين هذه الحالات حدثت أكثر الإصابات بين المراهقين بعمر ١٠ – ١٩ عامًا مقارنةً بالأطفال بعمر ٠ – ٩ أعوام، وبين الذكور بنسبة أكبر مقارنةً بالإناث.

ومع وقوع أسوأ سيناريوهات انقطاع الخدمات وارتفاع مستويات سوء التغذية، فقد تقع قُرابَة مليونَيْ حالة وفاة إضافية للأطفال دون سن الخامسة و٢٠٠,٠٠٠ حالة إملاص إضافية. وبحسب التقرير، قد يعاني ما بين ٦ إلى ٧ ملايين طفل آخرين دون سن الخامسة من العزال أو سوء التغذية الحاد في عام ٢٠٢٠، وهو يمثل زيادة بنسبة ١٤٪ قد تترجم إلى أكثر من ١٠,٠٠٠ حالة وفاة إضافية للأطفال شهريًا، معظمها في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وجنوب آسيا.

وعلاوة على ذلك، يعيش ١٤٠ مليون طفل في أُسَر معيشية فقيرة يُعْوزُها المال بسبب كوفيد -١٩، ويموت ٧٠٠ طفل كل يوم بسبب الأمراض الناجمة عن نقص خدمات المياه والصرف الصحي والنظافة الصحية. ومن المتوقع بحسب تقرير اليونيسف أن يزداد العنف الجنسي بمقدار ١٥ مليون حالة إضافية لكل ثلاثة أشهر من الإغلاق بسبب كوفيد -١٩. كما تعطلت نحو ٧٠٪ من خدمات الصحة العقلية للأطفال والمراهقين.

الآثار الاجتماعية والاقتصادية لكوفيد -١٩ على الأطفال

يشير التقرير إلى أن جائحة كوفيد -١٩ كانت مدمرة للخدمات الأساسية التي يعتمد عليها ملايين الأطفال، ولكن لم يتأثر جميع الأطفال بذات النسبة، وحتى قبل انتشار الجائحة، كانت هناك انقسامات عميقة في العلاج المقدم وكيفية الحصول على الخدمات؛ مثل الصحة والتغذية والتعليم والصحة العقلية والحماية الاجتماعية.

ويعتبِر التقرير أن الأثر الحقيقي للجائحة على التنمية الاقتصادية والتمويل الحكومي للقطاعات الاجتماعية لن يظهر إلا في الأشهر والسنوات المقبلة؛ خاصة أن الأزمات كثيرًا ما تعقبها تخفيضات في الميزانية؛ مما يخلق المزيد من عدم المساواة ويُلحق الضرر بالأطفال، كما أن عدم الاستعداد للجائحة في حد ذاته قد زاد من حدَّة آثارها الاجتماعية والاقتصادية الهائلة.

ويحذر التقرير من أن أصداء الآثار الاقتصادية لهذه الجائحة سوف تتردد لسنوات قادمة؛ مما يؤدي إلى ديمومة حدة الفقر، وعالميًا، يُتوقع أن يصعد عدد الأطفال الذين يعيشون في فقرٍ متعدد الجوانب، دون إمكانية الحصول على التعليم أو الصحة أو السكن أو التغذية أو الصرف الصحي أو المياه – بزيادة نسبتها ١٥٪، أي ١٥٠ مليون طفل إضافي بحلول منتصف عام ٢٠٢٠.

يعيش ١٤٠ مليون طفل في أسر فقيرة يعوزها المال بسبب كوفيد -١٩، ويموت ٧٠٠ طفل كل يوم بسبب الأمراض الناجمة عن نقص خدمات المياه والصرف الصحي والنظافة الصحية.

إغلاق المدارس

يلفت تقرير اليونيسف إلى أن ذروة عمليات إغلاق المدارس في أواخر نيسان/ أبريل ٢٠٢٠، أدت إلى تعطيل ما يقرب من ٩٠٪ من الطلاب في جميع أنحاء العالم؛ مما أثر على أكثر من ١,٥ بليون طالب. ويدفع الأطفال الفقراء الثمن الأكبر، ولم يتمكن نحو ٤٦٣ مليون طالب من الحصول على التعليم عن بُعد أثناء إغلاق المدارس؛ مما يدل على أن الأطفال الذين هم خارج المدرسة لفترات طويلة، ولاسيما الفتيات، أقل احتمالًا للعودة.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٠، كان هناك ٥٧٢,٣٢٤,٠٦١ طالبًا يعانون من إغلاق المدارس؛ أي ما يمثل ٣٣٪ من مجموع الطلاب

خطة اليونيسف ذات النقاط الست لحماية أطفالنا

تضمَّن التقرير خطة النقاط الست لحماية أطفالنا، التي دعت إليها اليونيسف وتهدف لإعادة توحيد العالم حول قضية مشتركة: صحة ورفاه الأجيال الحالية والمقبلة، والتحقيق الكامل لأهداف التنمية المستدامة واتفاقية حقوق الطفل.

وتدعو اليونيسف الحكومات والشركاء إلى:

١- ضمان التعليم لجميع الأطفال وسد الفجوة الرقمية.

٢- ضمان الوصول إلى الخدمات الصحية والتغذوية، وجعل اللقاحات ميسورة التكلفة ومتاحة لكل طفل.

٣- دعم وحماية الصحة العقلية للأطفال والشباب ووضع حدٍّ للإيذاء والعنف الجنسي؛ وكذلك الإهمال في مرحلة الطفولة.

٤- زيادة فرص الحصول على المياه النظيفة والصرف الصحي والنظافة الصحية ومعالجة التدهور البيئي والتغيُّر المناخي.

٥- عكس منحى ارتفاع فقر الأطفال وضمان تحقيق انتعاش شامل للجميع.

٦- مضاعفة الجهود لحماية ودعم الأطفال وأسرهم من القاطنين في أماكن تسودها النزاعات والكوارث والتهجير.

المسجلين، وذلك مع قيام ٣٠ بلدًا بإغلاق تام لمدارسها. وعلى الرغم من تبني أكثر من ٩٠٪ من الحكومات شكلًا من أشكال التعلم عن بعد، لتصل إلى ٧٠٪ من أطفال المدارس؛ أي أكثر من مليار طفل عالميًا، فإن نحو ٣٠٪ من أطفال المدارس في العالم إما لا تتوافر لديهم التقنية اللازمة للتعلُّم عن بعد في منازلهم أو لا تغطيهم سياسات التعلم عن بعد. وأعلى معدل للأطفال الذين لا يمكن الوصول إليهم هو في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

الأطفال أكثر عرضة للإصابة بالفيروس خارج المدرسة

تشهد بعض البلدان عودة الإصابة بعدوى كوفيد -١٩ من جديد؛ ولذلك فقد أُثيرت مؤخرًا مناقشة حول ما إذا كان ينبغي إغلاق المدارس مرةً أخرى. وبحسب تقرير اليونيسف، تبين الأدلة أن الفوائد المطلقة لإبقاء المدارس مفتوحةً تفوق تكاليف إغلاقها. فالأطفال ومدارسهم لا يعدون المحرك الرئيس للجائحة في البلدان، ولا تُظهر البيانات من ١٩١ بلدًا أي ارتباط متسق بين حالة إعادة فتح المدارس ومعدلات الإصابة بكوفيد -١٩.

ويرى التقرير أن الأطفال أكثر عرضة للإصابة بالفيروس خارج المدرسة، حيث يزداد خطر إصابة الأطفال كثيرًا بكوفيد -١٩ إذا ما كان هناك تَفشٍّ للجائحة في المجتمع المحلي. وفي الوقت نفسه، يؤدي إغلاق المدارس إلى نتائج سلبية للغاية على الأطفال، حيث يعرضهم إلى مخاطر متعددة، وكلما طال أمد إغلاق المدارس، عانى الأطفال خسائر كبيرة في التعليم مع آثار سلبية طويلة الأمد، بما في ذلك دخلهم المستقبلي وصحتهم.

يؤدي إغلاق المدارس إلى نتائج سلبية للغاية على الأطفال، حيث يعرضهم إلى مخاطر متعددة.

وفي ختام التقرير تدعو اليونيسف إلى وضع خطة ذات نقاط ست لحماية الأطفال، وإلى قائمة بالإجراءات العاجلة للتخفيف من أشد آثار الجائحة سوءًا، وإلى خطة عملية للإنعاش وذلك لحماية حقوق الطفل الآن ووضع رؤية جديدة لمستقبل أفضل. سيعيش الأطفال والشباب مع آثار الجائحة لسنوات قادمة. لذا يجب أن نستمع إلى الأطفال والشباب، وأن نُشركهم في القرارات التي تحدد مستقبلهم.

المؤتمر السنوي الخامس لمركز توثيق وبحوث أدب الطفل «أدب الطفل ورؤية مصر ٢٠٣٠»

عرض : إيمان بهي الدين
رئيسة تحرير مجلة خطوة

عقد مركز توثيق وبحوث أدب الطفل التابع للهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية مؤتمره السنوي الخامس بعنوان «أدب الطفل ورؤية مصر ٢٠٣٠»، تحت رعاية الدكتورة إيناس عبد الدايم وزير الثقافة المصرية، وبرئاسة الدكتورة نيفين محمد موسى رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، وأمانة الدكتور أشرف قادوس رئيس الإدارة المركزية للمراكز العلمية بالهيئة، وذلك خلال الفترة من ١٨- ١٩ نوفمبر ٢٠٢٠.

تضمن المؤتمر سبع جلسات، حيث ناقشت الجلسة الأولى محور الصناعات الثقافية لأدب الطفـل، وتضمنت نقاشات حول المسرح الشعري، وتحديات تطوير مجلتين مصريتين للأطفال بين الفنون التقليدية ومستجدات تكنولوجيا الواقع الافتراضي.. مجلتا «نور» و«فارس» أنموذجين، والإخراج المسرحي في مسرح الطفل ودوره في بناء القدرات الإبداعية له، ومدخلات وبدائل الألعاب الإلكترونية ومخرجات طفل ٢٠٣٠.

في حين تناولت الجلسة الثانية محور أدب الطفل والتفكير العلمي، وتطرقت إلى كتب الأطفال بين تنمية الابتكار والتفكير العلمي والإعاقة، وقصص الأطفال ودورها فى تنمية مهارات التفكير والإبداع لدى الأطفال، وتوظيف القصة في تنمية التفكير العلمي لدى الأطفال وحل المشكلات.. «سلسلة البيت الأخضر للكاتبة هديل غنيم نموذجًا»، وأدب الطفل في إدارة الأزمات، والوعي البيئي في أفلام الأنيميشن وعلاقته بالتنمية المستدامة.

وتحت عنوان أدب الطفل والإبداع جاءت الجلسة العلمية الثالثة، وتضمنت موضوعات حول الطاقات الإبداعية للأطفال في ضوء رؤية مصر ٢٠٣٠، وأدب الأطفال واللغة العربية، والتحول الرقمي وفق رؤية مصر ٢٠٣٠ وأثره على أدب الطفل، وأدب الأطفال بين الإبداع وتحديات العصر، ولماذا يكتبون للأطفال؟.. نحو رؤية لنقد أدب الطفل، واستلهام التراث في أدب الأطفال.

وخصصت الجلسة الرابعة لتجارب وخبرات حول القصص التفاعلية بين التاريخ والواقع المعزز، ثم الجلسة الخامسة حول أدب الطفل والابتكار، وتناولت موضوعات «الروبوت» في سرد الخيال العلمي للطفل، ودور أدب الطفل في تنمية الابتكار والتفكير العلمي لدى الأطفال: نماذج من التاريخ والواقع المعاصر، وأنماط التفكير العلمي والابتكاري في أدب الطفل، وتوظيف أدب الأطفال ابتكاريًا وفكريًا وإبداعيًا في رؤية مصر ٢٠٣٠، وأدب الأطفال وأهمية دور البيئة فى تشكيل شخصية ووجدان الطفل، والمضامين التربوية المتضمنة في بعض أدب الأطفال القصصي والمسرحي: دراسة تحليلية، «سعدية العادلي أنموذجًا».

واستعرضت الجلسة السادسة محور أدب الطفل وحماية وتعزيز التراث، حيث تم خلالها تناول تبسيط التراث شعرًا للأطفال: «الأمثال الشعبية أنموذجًا»، وصورة الطفل في الأمثال الشعبية: مفاهيم مغلوطة.. كيفية معالجتها أدبيًا.. في ضوء رؤية ٢٠٣٠، وتوظيف الموروث الشعبي لصورة الحمار.. مسرحية «جائزة الحمار لأحمد سويلم أنموذجًا»، وأدب الطفل

«أدب الطفل والتحول الرقمي» عنوان المؤتمر السنوي السادس لمركز توثيق وبحوث أدب الطفل للعام ٢٠٢١.

وحماية وتعزيز التراث: الحكاية الشعبية للأطفال مصدرًا للقيم، والتراث والأدب الموجه للأطفال، تعزيز التراث في قصة «جذور فوق الأرض» للكاتبة سماح أبو بكر عزت.

أما الجلسة السابعة، فقد دارت حول محور رفع كفاءة ومهارات المؤسسات الثقافية والعاملين بها في مجال أدب الطفل، وشملت عناصرها مناقشة الإدارة العامة للمنح والتفرغ ورعاية الفنانين والأدباء في مجال أدب الأطفال، والرضا الوظيفي لدى مشرفي النشاط المسرحي فى مدارس التعليم العام؛ وأثره على المسرح المدرسي، والتربية الإعلامية للطفل ودورها في تعزيز قصص وحكايات التراث الشعبي، وأدب الأطفال والمنظومة التعليمية، والإنتاج الرقمي لدراما الأطفال الناطقين بغير العربية عبر المنصات الإلكترونية «مسلسل يوميات أسرة عربية».

تضمن المؤتمر تقديم أكثر من ٣٥ ورقة عمل ومداخلة، بمشاركة أكثر من ٤٥ خبيرًا ومتخصصًا في مجالات أدب الطفل من مصر، والذين أوصوا في ختام المؤتمر بعدة توصيات، من أبرزها: إقامة ورش عمل الصناعات الثقافية للطفل في ضوء رؤية مصر ٢٠٣٠ تجمع أدباء ومبدعي أدب الطفل وجميع المهتمين بثقافة الطفل، وتنظيم المؤتمر السنوي السادس لمركز توثيق وبحوث أدب الطفل حول «أدب الطفل والتحول الرقمي»، والاهتمام بنشر كتب الأطفال التي تستهدف صون التراث وتعزيز التاريخ في نفوس الأطفال، وعقد مائدة مستديرة حول نقد أدب الطفل، وعقد برامج تدريبية تستهدف رفع كفاءة العاملين بمنظومة ثقافة وأدب الطفل المصري.

قام المؤتمر خلال فعالياته بتكريم الكاتبة فاطمة المعدول تقديراً لجهودها في بناء مؤسسات ثقافة وأدب الطفل في مصر وعرفاناً بدورها الملموس في الصناعات الثقافية للأطفال.

قواعد النشر بمجلة خطوة

ترحب المجلة بنشر المقالات والخبرات للممارسين التربويين (أولياء الأمور، والمعلمين والمعلمات، والمهتمين بشأن الطفولة في وطننا العربي)، وتقبل المجلة المقالات والخبرات والتجارب المحلية والعربية والدولية التي تُعظِّم وعي الأسرة العربية بقضايا الطفولة، وذلك وفق الآتي:

- ألا يزيد حجم المقال أو المادة العلمية على ست صفحات A4 (١٢٠٠ - ١٥٠٠ كلمة).
- أن تعتمد الأصول العلمية المتعارف عليها في الكتابة للمواد المراد نشرها، وبلغة عربية مبسطة.
- يفضل أن تدعم المقالات المقدمة برسوم وأفكار توضيحية تسهم في تقريب المعنى للقارئ.
- المجلة لا تنشر مواد سبق نشرها أو معروضة للنشر في مكان آخر.
- المجلة لا تنشر الموضوعات المقتبسة أو المستنسخة أو المنقولة من موضوعات منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي.
- يحق للمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية أو شاملة على المواد المقدمة للنشر.
- المجلة غير مسئولة عن نشر كل ما يرد إليها، أو رده في حالة عدم قبوله.
- ترحِّب المجلة بنشر مراجعات الكتب الجديدة سواء باللغة العربية أو الأجنبية؛ شريطة ألا يتجاوز تاريخ صدورها ثلاث سنوات سابقة.
- تقبل المجلة عرض الرسائل العلمية (الماجستير أو الدكتوراه) في مجال الطفولة.
- ترحِّب المجلة بالمناقشات العلمية لما ينشر فيها أو في غيرها من المحافل العلمية والأكاديمية (الندوات، المؤتمرات، ورش العمل....).
- ترحِّب المجلة بنشر خبرات المعلمات والممارسين التربويين وأولياء الأمور والأطفال أنفسهم؛ بما يحقق الاهتمام والوعي بقضايا الطفولة.
- يتم عرض جميع الموضوعات الواردة على الهيئة العلمية للمجلة.

ملف العدد القادم:

الطفل والرقمنة: فرص وتحديات

محاور وملفات الأعداد القادمة

- **الطفل والمواطنة.**
- **الطفل والبيئة.**
- **الطفل والتغذية.**
- **الطفل والمسرح.**
- **الأطفال المهمشون.**
- **تحسين الاستعداد المدرسي.**
- **الطفل في ظل النزاعات المسلحة.**

الاستفسارات والمقترحات والاشتراكات

المجلس العربي للطفولة والتنمية – إدارة تحرير مجلة خطوة

تقاطع شارعي مكرم عبيد مع منظمة الصحة العالمية – مدينة نصر – القاهرة – مصر.

هاتف: ٢٣٤٩٢٠٢٣/٢٤/٢٩ (٢٠٢+) فاكس: ٢٣٤٩٢٠٣٠ (٢٠٢+)

media.accd@gmail.com - www.arabccd.org

المجلس العربي للطفولة والتنمية
برنامج الخليج العربي للتنمية - أجفند

أبي صديقي

أبي صـــديقي يحبُّـــني ينصحنُـــي ويـدلُّنـــي
عَطُـوفٌ نحـوي وصديـق ورفيقـي في كل طـريقِ
صـومًا علمـني وصـلاة دينـــي أَفهَمـنِي معنـــاه
علَّمنـــي مـا حـبُّ الخـير كيـــف أســاعدُ كلَّ الغـير
لا أظلـــم يـومًا إنســـانًا أمنحـــه حُـــبًّا وحـــنانًا
أجعـــل بلـــدي كالبستان أزرعُـــها زهـــرًا فـــتَّان
كي تصـــبحَ أبـدًا وتظـــل أجمـــلَ بلـدٍ في البلـــدان
علَّـمـــنِي كيـــف أختـــار معـرفـــةً فالعـــلم منـــار
وإذا مـــا أتســـاءلُ يومًـــا يصبـــحُ لي نبـــعَ الأفـكار

شعـر : حسنات الحكيم
رسوم : منى حســـين